# التأثير الحضارى المتبادل
# بين
# الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية

## خلال عصر سلطنة غرناطة

635 هـ : 897 هـ / 1238 م : 1492 م


إعداد

الاستاذ المساعد الدكتور

**عدنان خلف سرهيد الدراجي**

كلية التربية الجامعة المستنصرية

العراق بغداد


باشراف المرحوم

**الإستاذ الدكتور محمد مفيد آل ياسين**



# التأثير الحضاري المتبادل بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية

## خلال عصر سلطنة غرناطة

## 635هـ : 897هـ / 1238م : 1492م


**اعداد**

الاستاذ المساعد الدكتور

**عدنان خلف سرهيد الدراجي**

**كلية التربية الجامعة المستنصرية**

**العراق بغداد**


بإشراف المرحوم

الأستاذ الدكتور **محمد مفيد آل ياسين**

بسم الله الرحمن الرحيم

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

صدق الله العلي العظيم

سورة : البقرة – الاية : 682

# شكر وتقدير

لابد لي وأنا في مرحلة إنهاء هذه الأطروحة أن اشكر الله تعالى الذي من عليّ بفضله ورعايته وألطافه حتى أوصلني إلى هذا المقام . ويشرفني ويقر عيني أن أتقدم باعتزاز وتقدير كبير وخالص الشكر والامتنان لاستاذيّ المشرف الأستاذ الدكتور محمد مفيد ال ياسين . ومن منطق الوفاء والمحبة أن أسجل غاية الشكر وعظيم الامتنان لأساتذتي الأفاضل الذين أغدقوني بعلمهم في السنة التحضيرية ، الأستاذ الدكتورة أمل السعدي ، والأستاذ الدكتور كريم عاتي الخزاعي ، والأستاذ الدكتور نعيم دنيان الغراوي والأستاذ المساعد الدكتور رضا هادي عباس الذي امدني بكثير من مصادره القيمة وخبرته الكبيرة لاسيما اقتراح موضوع هذه الدراسة .

وأتقدم بوارف الشكر والامتنان للاستاذ الدكتورة صباح إبراهيم الشيخلي التي سارعت الى المساعدة في تنقيح ما وقع فيه الباحث من اخطاء ، والاستاذ الدكتور سامي حمود الحاج جاسم . كما لا بد لي أن اثمن بالتقدير العالي والامتنان الكبير للاستاذ الدكتور(أنتونيو مالبيكا) الأستاذ في جامعة غرناطة ورئيس قسم تاريخ العصور الوسطى الذي اتاح لي فرصة زيارة اسبانيا للاطلاع عن كثب على حاضرة الأندلس العتيدة غرناطة ومقر حكم سلاطينها قصور الحمراء ، والالتحاق بجامعة غرناطة للاستفادة من مكتباتها وخبرات أساتذتها ، كما اشكر أساتذة جامعة غرناطة كل من الاستاذ الدكتورة (كارمن خمينيث ماتا) أستاذة التاريخ الأندلسي والأستاذ الدكتور(اكرم ذنون) استاذ الدراسات التاريخية والاخ الباحث ( كارلوس سيرانو كونتريراس) المعيد في الجامعة ، والسيد إدريس مارتينيث أمين مكتبة المدرسة العربية في غرناطة الذي أجهد نفسه كبيرا من اجل توفير المصادر واستنساخها ،

وكذلك كل من الدكتور (صالح الزهراني) والأخ الدكتور عمار رضا والدكتور سليم رحمن والدكتور محمد جاسم ، والدكتور فاضل الخياط ، والدكتور احمد بسام ، والدكتور نصر يوسف وحازم ربايعة وحسن ابو اشرف . كما واشكر الأستاذ الدكتور محمد عبدة حتاملة أستاذ التاريخ الأندلسي في الجامعة الأردنية لإهدائه بعض من كتبه ومولفاته وتقويم الخطة العلمية للباحث . والدكتورة خلود الأحمدي استاذة التاريخ الاسلامي في جامعة الملك عبدالله في الملكة العربية السعودية ، وثلة من الأخوة والأصدقاء المخلصين كان لهم دوراً بارزاً في مد يد العون والمساعدة وشاركوني في مرحلة البحث ، والست مها البغدادي ، الاخ الدكتور عزيز حسين الموسوي ، وصاحب مكتبة القيروان الأخ أبو محمد والأخ دريد .

فلهم مني كل التقدير والاعتزاز . والى إخوتي وأصدقائي ولكل من ساعد في إخراج هذا الجهد المتواضع .

# الإهداء

إلى غرناطتي.. حبّ أو أكثر

غرناطة..

عينان تضيئان ظلام العالم

أغنية من سحر

ألف سماء

تضحك

حتّى تبتلّ الفلوات

وتزهر...

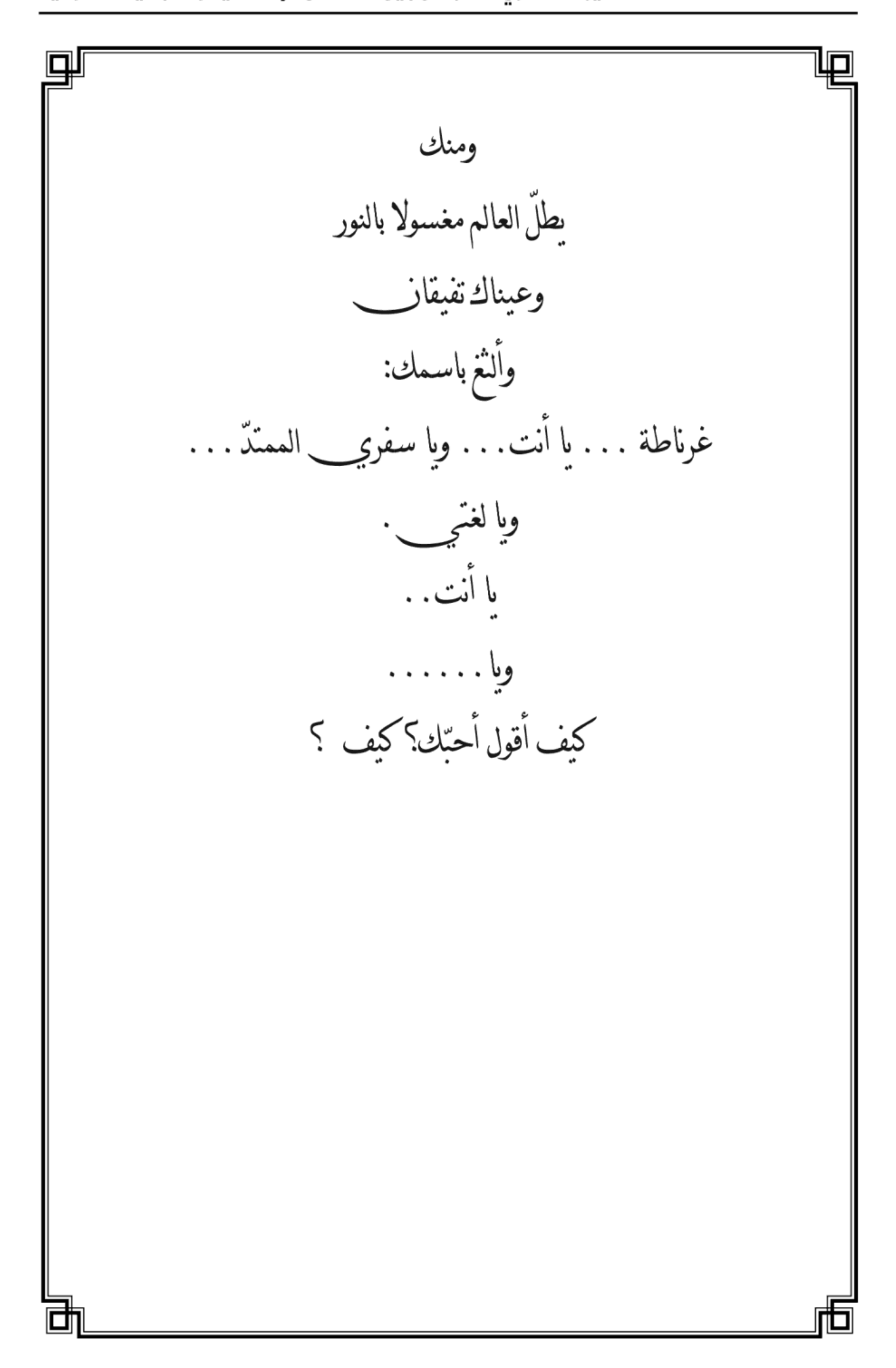
غرناطة..

يا حلمي المتردد بين النوم وبين اليقظة

يا سفري الممتدّ إلى حيث تغيب الكلمات

ولا يبقى غير الحبّ

أشير به، وإليه،



ومنك

يطلّ العالم مغسولا بالنور

وعيناك تفيقان

وألثغ باسمك:

غرناطة . . . يا أنت. . . ويا سفري الممتدّ. . .

ويا لغتي.

يا أنت. .

ويا . . . . . .

كيف أقول أحبّك؟ كيف ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة:**

الحَمدُ لله الذي خلقَ فسوَّى ، والذي قدَّرَ فَهدى ، والصلاةُ والسلامُ على مَن أرسَلَهُ اللهُ تعالَى رحمةً للوَرى ، اللهمَ صَل عليه وعلى العِتْرَةِ الطاهرةِ من أهلِ بيتِهِ الأبرار ، الأخيارِ الذين أذهَبَ الله عنهُم الرِجْسَ وطَهَرَهُم تَطهيراً ، وعلى صَحبهِ المُنْتَجَبين الأخيَارِ وبعد :

إنَّ الإنسانَ ليَشعرُ بالفخرِ عندما يَتَجولَ في المكتبات العربية ، التي سَطَّرَها عُلَماؤُنا الأفذاذ ، وجمعوا فيهَا كُلَّ أنواع المعارف الإنسانية ، التي أصبَحَتْ في ما بَعد ، مَناراً يُهتدي بنُورها السائرون نَحوَ طَلَب العِلم حَتّى غَدَتْ تلكَ المَكتباتُ واحدةً من أعظم مَفَاخِر الدُنيا فهي مَعِينٍ لا يَنضَب َ، لكلِ طَالبِ عِلمٍ ، تَمنح كلَّ باحثٍ من سِحرِهَا المعَطاء .

وقدْ كانَ الباحثُ واحداً من هؤلاءِ ، الذين ارتادوا هذا التراث الجم ، محاولين التعرف على ماضي الأمةِ المَجيدِ .

لقدْ كانَ الفتحُ العربيُ الإسلاميُ لأسبانيا ، حدثاً حضارياً كبيراً ، إذْ امتزجتْ فيهِ حَضاراتٌ سابقةٌ ، منها الرومانية والقوطية ، مع حضارةٍ جديدة لاحقة هي الحضارةِ العربيةِ الإسلاميةِ . فلم يَكدْ العربُ يفتحون أسبانيا ، حتى قاموا ببناء المجتمع ، بما ملكوه من حضارة ورقي ، ومما لا شك فيه أنَّ العربَ حينما دخلوا أسبانيا ، وجدوها مأهولة بالسكان ، إذْ كان بها جماعات كبيرة من المسيحيين ، هم في الأصل خليط من الوندال والكلتيين الايبيريين ، والفينيقيين والقرطاجيين ، وعناصر إغريقية ويونانية ورومانية وجرمانية ويهودية . كما استقر فيها القوط الذين سيطروا عليها حتى مجيء العرب فأضافوا عنصراً جديداً إلى العناصر القديمة ، إذْ اختلط هؤلاء الفاتحون الجدد بأهالي البلاد الأصليين ، وكانت ثمرة هذا الاختلاط ، ظهور عنصر جديد مسلم ، عُرف بإسم المولدين وهذا العنصر نتج من تزاوج المسلمين بالنساء الاسبانيات .

وإلى جانب ذلك المستعربة أو المستعربون وهي (عناصر مسيحية استعربت في لغتها وعاداتها ولكنها بقيت على دينها محتفظة ببعض تراثها اللغوي والحضاري) ، كذلك كان لعنصر آخر الدور المهم في الحضارة الأندلسية وهم الصقالبة .

إنَّ هذا التنوع البشري ،صاحبه تنوع في التيارات الثقافية والاجتماعية والعلمية ، وكان انتقال التأثيرات الحضارية بين الجانبين في غاية السهولة والخفاء ،فقد يخالط رجل أندلسي رجلاً اسبانيا آخر ، فتنتقل أفكار من هذا إلى ذاك .

ومن ذاك إلى هذا .يضاف إلى ذلك أنَّ موقع الأندلس الجغرافي ، ووقوعها في الأطراف الغربية البعيدة للعالم الإسلامي ، والمجاور للغرب المسيحي جعله في مواجهه مستمرة ودائمة مع الممالك المسيحية في الشمال الاسباني ومناطق الغرب الأوربي ،وبذلك كانت من أكثر الدول الإسلامية معرفة وتأثيراً وتأثراً بها ،وحتى في أوقات الحرب لم يكن ما يمنع الاتصال بين الجانبين ، بسبب التجاور والملاصقة وبذلك تكون الأندلس قد أثرت في الغرب وتأثرت به .

ومن ذلك تأتي أهمية الموضوع ، في انه حاول تسليط الضوء على الأثر الحضاري لكلتا الأمتين الاسبانية والعربية اللتين تعايشتا على جغرافية مشتركة ألا وهي شبة جزيرة ابيريا ،التي ظلت أرضها تتقاسم العرب والأسبان ،فحاول الباحث أن يكشف عن عمق التأثير المكتسب والمتبادل لكلتيهما بما حوتهما .

على الرغم من تفوق العرب الحضاري في ذلك الوقت فهم قد ملئوا العالم علما وثقافته وكما هو معروف للجميع ،إلاأن العرب ومع تفوقهم الحضاري الكبير لم يأنفوا أن يُغنوا معرفتهم بما وجدوه عند جيرانهم الأسبان ،فأعطوا واخذوا واثَّروا وتأثروا ، مستفيدين من عوامل الاتصال المختلفة التي أتيحت لهم .

فضلاً عن أن تتبع البحث للموضوعات المتناولة التي كشف البحث عنها وعن أصالتها وريادة كل طرف بما يمتلكه وكيفية تلقي وتأثر الطرف الآخر بها .

أمَّا عن سبب اختيار الموضوع فذلك لانه يعد بحثا في موضوع بكر غير مسبوق بدراسة أكاديمية ، عملنا عليه جاهدينً خدمةً لتراث امتنا المجيدة ، التي حملت راية العلم في تلك العصور وأصبحت أنموذجاً يُحتذى به في الغرب .

مثلت فترة زمنية محددة ،تمتد من سنة(635 هـ/ 1238م) وإلى سنة (897هـ / 1492م) التي اصطلح تاريخياً على تسميتها بسلطنة غرناطة ، وهي ما سنقوم

بالبحث فيها داخل حدودها التاريخية والجغرافية ، بما تحويه من ولايات ثلاث هي غرناطة العاصمة والمرية ومالقة .

ان اعتماد الباحث في هذا الدراسة سيكون على ما توفره المصادر التاريخية ، التي كانت قريبة من الموضوع ،اذْان هذا الموضوع هو استنتاجات وقراءة للأحداث التي وردت بين السطور ، ومن خلال استقراء الأحداث محاولين ربط ما دار بين الجانبين من تأثيرات من خلال تلك المؤلفات ، ونظراً لقلة المؤلفات ـ وكما هو معروف ـ التي تناولت تاريخ سلطنة غرناطة ، لما آلت اليه تلك المؤلفات من عملية الحرق المعروفة ، التي حدثت في باب الرملة ، من قبل الراهب خمينيث وغيره ، وكذلك المصادرة والمنع اللتان فرضتا على كتب العربية بعد سقوط الأندلس ، كل تلك الأسباب كانت وراء ضياع تراث العرب في الأندلس . وبالتالي افتقرت المكتبة الأندلسية لمؤلفات الحقبة التاريخية التي شغلتها سلطنة غرناطة ، لذلك كان اللجوء إلى المراجع الأكثر في هذه الأطروحة ، لاسيما الاسبانية منها ، ولأن تلك المراجع تستقي معلوماتها من مصادر اسبانية صعب الوصول اليها من قبل الباحث ، كانت هذه المراجع خير عون لي في هذه الدراسة . فضلاً عن استخدام المصادر الاسبانية الأصيلة .

وقد اقتضت الخطة ان تشتمل هذه الدراسة على مقدمة وأربعة فصول ولحقتها ملاحق وخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الإنكليزية . وجاءت المقدمة للكشف عن أهمية الموضوع وأسباب اختياري له وما اشتملت عليه الرسالة في فصولها الخمسة ، مع عرض المصادر الأساسية التي اعتمدت عليها في إعداد هذه الرسالة .

وجاء الفصل الأول ليتناول مفهوم التأثير الحضاري واهم قنوات الاتصال بين الحضارتين فتناول بدايات التأثير لاسيما العربي ، باعتبار أن العرب في ذلك الوقت ذوو الحضارة المتفوقة عالمياً ، ثم أهم القنوات التي عبرت منها الحضارة إلى الجانبين مع التأكيد مرةً أخرى على أهمية الدور العربي .

اما الفصل الثاني ، فقد تناول الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها من أعياد واحتفالات للجانبين ، وموسيقى وغناء ورقص ، فضلاً عن الالات الموسيقية

المستخدمة انذاك ، وايضاً عند كلا الطرفين ، وللملابس الحضور الفاعل في هذا الفصل وطرق ارتدائها ، وايضاً انواع الأقمشة المستخدمة ، ومدى تأثيرها عند الطرفين .

وكان للأطعمة نصيب في هذا البحث ، فقد حاول الباحث تقصي أنواع الأطعمة التي كانت تنتشر في كلا الجانبين الاسباني والعربي ومدى تأثر احدهما بالآخر .

وتناول الفصل الثالث الأدب والثقافة بصورة عامة ، فدرس أنواع الشعر عند كلا الطرفين ، ومدى تأثر احدهما بالآخر ، لاسيما العربي بالتفصيل ، من موشح ، وزجل ، وبنيتهما التركيبية ، والقصيدة العمودية ، ثم استكمل الباحث مسيرته في تسليط الضوء على بقية فنون الأدب ، فدرس الفن القصصي متطرقاً لأهم القصص العربية والاسبانية التي تأثرت بها ، ثم درس على حدة المؤلفات الاسبانية ذات التأثيرات الإسلامية ، ثم المؤلفات ذات الطابع الديني التي يستفاد من دراستها في معرفة اللغة المستخدمة فيها وكيفية تفاعل تلك اللغات مع بعضها البعض ومقدار الأخذ والعطاء بين اللغتين ، ثم درس الأمثال العربية ، ومقدار ما لها من صدى عند الأسبان ، واخذ الباحث نماذج لتلك الأمثال ليفهم منها مقدار التأثير العربي في الاسبان .

ثم اخيراً الفصل الرابع ، الذي يشكل مسك الختام بالنسبة للأطروحة ، اذ عُنون تحت اسم تأثيرات اخرى . لاحتوائه على اكثر من موضوع لا تجمعه وحدة موضوعية بالمقارنة مع الفصول الأخرى ، لذلك جمع تحت هذا الاسم ، اذ لو افرد لكل منهم فصل او مبحث لأصبح هناك خلل في موازنة الفصول ، فاحتوى هذا الفصل مجموعة من التأثيرات التي ساهمت في اغناء الأطروحة ، ومنها الترجمة والدور الكبير لها في نقل التراث ، ثم ما يتعلق بالتاريخ المسيحي واستخدام العرب له ، ثم الرواية التاريخية وتأثيرها في كلا الطرفين ، وثم موضوع الجدل الديني واشهر أصحاب هذا الاتجاه ، ثم تناول الجانب الديني عند العرب والاسبان ، والتصوف وأشهر رجاله وموضوعاته ، ثم المؤسسات التعليمية ، وعلم الجغرافية ولاسيما الموضوع المثير للجدل حول اكتشاف امريكا من قِبل العرب قبل كولمبس . ثم

اهم جانب عند المسلمين والمسيحين الا وهو الجانب الحربي وفنونه الحربية بكل تعقيداته ، لاسيما اكتشاف القوة الدافعة للبارود واختراع المدافع من قبل العرب ، ثم الصناعة والتجارة ، والزراعة ، رغم قلة المعلومات المتوافرة لدينا بشأنهم .

أما الصعوبات التي واجهت البحث ، فكما هو معروف فان أي دراسة لا تخلو من مصاعب تواجه الباحث في مرحلة إعدادها ، تمثلت تلك المصاعب بقلة المصادر الاسبانية التي درست تلك الفترة ، وعلى الرغم من توفر بعضها الا انها كانت مكتوبة بلغة قديمة يصعب على المترجمين فهمها ، وكذلك قلة المصادر التي تناولت هذا الموضوع ، وصعوبة الحصول على المعلومة واستخراجها إلا بعد عقد مقارنات عميقة بين المعلومة المراد دراستها عند الطرفين العربي والاسباني .

عرض لأهم المصادر والمراجع : من الطبيعي إن موضوع الرسالة تطلب مني الرجوع إلى مصادر متنوعة ، من أهمها :

1 : **الكتب العربية** : اهمها كتاب أحمد ابو القاسم بن ابي العباس العزفي ، المعروف بكتاب ( الدر المنظم في مولد النبي المعظم ) ، يعد من اهم الكتب التي أفاد منها الباحث في موضوع الاعياد ، فقد شرح فيه المؤلف انتقاده للأندلسيين احتفالهم بأعياد النصارى ، وبدوره فقد عدد أعيادهم ومواعيد احتفالهم وكيفيتها ، وكذلك مولد الرسول محمد (ص) وميلاده ، وأفاد الباحث من مقامة لمؤلف مجهول تظهر ولع الأندلسيين بمحاكاة جيرانهم الاسبان في تقليدهم في كل شي ابتداء من لغتهم ومرورا بملابسهم وانتهاءً بلغتهم ، وهو ما أعان الباحث في الفصل الثاني للتعرف على تأثرهم بعادات الأسبان وتقاليدهم .

ثم كتب أبو عبد الله لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/ 1374م) كانت لتلك المؤلفات أهمية كبيرة في إمداد الرسالة بمعلومات تاريخية وأدبية مهمة تخص هذه المرحلة ، وأهمها كتاب (الإحاطة في أخبار غرناطة) الذي تكون من أربعة أجزاء ، وقد عُدَّ هذا الكتاب مصدراً مهماً لكل من أراد الكتابة عن تاريخ تلك السلطنة ، وقد عرض فيه ابن الخطيب لنشوئها وبعض من تاريخها وجغرافيتها واهم مواردها ، ثم رتب مواده التاريخية بإيراد تراجم للشخصيات الأندلسية من كتاب وشعراء وأدباء وسياسيين فضلاً عن أمراء وسلاطين غرناطة الذين استعرض من خلالهم تاريخ السلطنة السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي والفكري . . . الخ من خلال إيراد بعض المعلومات عن طبائع وعادات وتقاليد أهل غرناطة ، وسلاحهم

والبستهم وكيفية تأثر العرب بالأسبان ، ثم جاء كتابه الثاني (الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة) ليضع بين أيدينا معلومات أدبية وتاريخية مهمة حول معظم إحداث تلك المرحلة ، ثم كتاباه (نفاضة الجراب في علالة الاغتراب) بجزيه الثاني والثالث ، اللذاني حملا في طياتهما الكثير من الحوادث المهمة ، لاسيما التي تخص فترة حكم الغني بالله وما صاحبها من ملابسات .

وكذلك من كتبه المهمة الأخرى (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) وهذا الكتاب على الرغم من صغره إلا انه ضم معلومات قيمة عن تاريخ سلطنة غرناطة وسلاطينها ، الذي تناول أيضاً بعض المعلومات المهمة عن تأثر وتأثير العرب ، وتغير بعض عاداتهم وتقاليدهم نتيجة احتكاكهم بالأسبان ، وقد أفاد الباحث من كتاب ( العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ،(ت 808هـ/ 1406 م) .لما فيه من معلومات تاريخية قيمة ، ومقدمته التي وضع فيها فكرته عن التأثير والتأثر ومتى تتأثر الأمم بأقرانها وسبب ذلك ، وضارباً مثالاً لذلك ، وهو بلاد الأندلس .

وكذلك كتاب ابن عاصم الغرناطي ، أبو يحيى بن عاصم محمد بن محمد بن محمد بن محمد ، القيسي ألأندلسي .(ت 857هـ/ 1453م ) المعروف بـ(جنة الرضا في ما قدر الله وقضى ) الذي يعد الوثيقة النادرة عن تاريخ تلك المرحلة ، التي مثلها وعكس لنا بعض من تاريخها ، وهي فترة القرن التاسع الهجري ، حيث تناول بعض من تاريخ تلك السلطنة ، وما آلت إليه أحوالها ، فكان خير وثيقة لنا في متابعة بحثنا في تلك الفترة التي شحت بها المصادر ، ومصدر آخر مهم لمؤلف مجهول من القرن التاسع الهجري ، هو كتاب (نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ) حيث يعد المصدر الوحيد لكل من أراد الكتابة عن تاريخ تلك السلطنة ، ابتداءً من عهد السلطان أبي الحسن حتى سقوط غرناطة ، فكان عرض الكاتب لمادته يتمثل بسرد حكاية سقوط كل مدينة ومعقل ، وملابساتها وتفصيل الحملات العسكرية التي وجهت إلى تلك البقاع ، وكيفية استسلام غرناطة وتسليمها ، وكيفية استخدامهم للاسلحلة ، التي أشارت إلى فضل العرب في هذا المجال ، ثم الإشارة إلى الخطط العسكرية التي اقتبسها الأسبان من العرب ، وهي ظاهرة بناء المدن أو الحصون لغرض حصار الأعداء .

إما كتابي المقري ، احمد بن محمد بن احمد المقري التلسماني (ت1041هـ/ 1632 م) وهما (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب) و ( أزهار الرياض في أخبار عياض) . فكانا خير معونة لي في جميع فصول الرسالة نظراً لما يحملانه من معلومات ادبية وتاريخية قيمة ، خصص الأول لحياة لسان الدين ، فعرض تاريخ الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، ليعطي القارئ فكرة واضحة عن البلاد التي عاش فيها هذا الوزير والإحداث التي مرت بها الأندلس لاسيما في عهده ، ناقلاً نصوصاً أفادت الباحث في موضوعه ، مثل نقله عن ابن سعيد المغربي قضية التأثير الاسباني في العرب ، بعد أن فقدت بعض كتب ابن سعيد ، وكان الفضل يعود للمقري في حفظ بعض تلك النصوص من الضياع ، وهي التي دونها ابن سعيد في بعض كتبه المفقودة ، وكذلك كانت الفكرة نفسها مع كتابه الثاني الذي خصصه للقاضي عياض ، واتبع نفس أسلوب كتاب نفح الطيب في عرضه للمواد التاريخية . والكتاب الأخير للونشريسي المعروف بالمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب ،الذي أورد فيه المؤلف معلومات قيمة في بعض الفتاوى التي أفادت الباحث في مواطن عدة من الأطروحة .

ثم أخيراً كتب الادب ، التي أفادت الموضوع واغنته بما تحمله من تفاصيل مهمة ، وفي كل الفصول . ومنها ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام للسان الدين ابن الخطيب ،وديوان ابن خاتمة ،وكذلك المقامة المعروفة بمقامة الطريف التي ذكرت سابقاً في المصادر العربية أعلاه .

أما بالنسبة للمراجع العربية الحديثة التي اعتمدت عليها ، فأهمها كتاب حكمت علي الأوسي المعروف بفصول في الأدب الأندلسي ، الذي عرض فيه المؤلف التأثيرات الحضارية المختلفة ، أفاد الباحث في كل الفصول ، كذلك كتابا سيمون الحايك تعربت وتغربت ، والآخر المعروف باسم كلمبس ، ويعد الأول أكثر أهمية من الأخير ، نظراً لما يحويه من معلومات كثيرة ومتنوعة ، افاد منها الباحث في اغلب فصول الأطروحة . ويليه كتاب طه عبد المقصود عبيه ، والمعنون الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية منذ نشأتها في المشرق ،وانتقالها إلى اسبانيا ومن ثم اوروبا ،وكذلك كتاب الدكتور صلاح جرار الموسوم بزمان الوصل ، اذ يعد كتاباً قيماً في موضوعه تناول فيه التاثير العربي

الاسباني على مر عصور الاندلس وبصورة مقتضبة ،ويليه كتاب مظاهر الحضارة في عهد بني الاحمر لليوسف شكري فرحات ، فهو كتاب على جانب كبير من الأهمية في الإحاطة بتاريخ غرناطة والإشارات الدالة على مظاهر التأثير . وأخيراً كان لكتاب احمد محمد الطوخي ، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ،الأثر المهم في إغناء الأطروحة بمعلومات وافية وغنية .

ثم يأتي اثر المجلات العربية في هذه الأطروحة ، اذ مثلت مجلة المعهد المصري في مدريد معيناً لا ينبض في رفد الباحث بكل ما هو قيم ، على تنوع اعدادها واختلاف مواضيعها فكانت بحق خير معين في هذه المسيرة البحثية ،من امثلة بحوثها العديدة صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحيين لاحمد مختار العبادي ، وكذلك مجلة دراسات أندلسية التي كان لها حضور مهم ايضاً ، اذا مثلت ركناً اساساً من أركان الأطروحة وكانت اسامتها فعالة جنبا إلى جنب مع بقية المجلات الأخرى . ثم تاتي مجلة عالم المعرفة لتضفي اهمية اخرى للاطروحة من خلال رفدها للموضوع بعدة بحوث منها اثر الاسلام في البيئة الاوربية لاحمد مختار العبادي وبحثه الاخر بشأن التأثير المتبادل للرواية التاريخية العربية والاسبانية فقد كان لهما الفضل الكبير في اغناء جوانب الأطروحة بكل المعلومات القيمة ولمختلف الفصول .

وقد ساهمت الاطاريح والرسائل الجامعية بهذه الأطروحة ايضاً ، لاسيما أطروحة زاهدة عبد الرزاق الموسومة بـ (الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة) ، إذْ كان لها حضور متميز في الأطروحة ، فقد أمدت الباحث بالكثير من المعلومات الاجتماعية في الفصل الثاني ، الماجستير وكذلك كانت لرسالة ، التأثير الاسباني في المجتمع الأندلسي ، وصورته في الأدب ، لنوال الدسوقي ، الأثر البين في صفحات الأطروحة وأغنتها بالمعلومات المهمة .

واخيراً الانترنيت الذي اسهم اسهاماً فاعلاً في إغناء الموضوع ، مثل البحث المهم لسحر عبد العزيز السيد ، المعنون الجوانب السلبية والايجابية في الزواج المختلط في الأندلس ،اذ اغنى الأطروحة بموضوعه .

**2 : الكتب الاسبانية المعربة وغير المعربة** : ساهمت هذه الكتب بإغناء الأطروحة بكل ما يتعلق بالجانب الاسباني والعربي ، اذا وجد فيها الباحث خير عون في رفد الموضوع بالكثير من المعلومات القيمة وأثرته علماً بما تملكه من

معلومات قيمة في هذا المجال . ومن اشهر هذه المصادر التي استقى منها الباحث معلوماته ما يأتي :

Cantigas de Santa maria: de Don Alfonso El sabio

وهو كتاب أغاني الفونسو العاشر المتوفى سنة 683هـ/ 1284م ،الذي يعد من أهم الكتب في تلك المرحلة ، فهو وثيقة مهمة في موضوعه ، افادت منه الاطروحة كثيراً لاسيما في الفصل الثاني وكتاب :

Libro de Buen Amor :Juan Ruiz, Arcipreste de Hita

وهو كتاب الحب الطيب لخوان رويث قس مدينة هيتا ، المتوفى سنة (750هـ / 1350م) افاد الباحث منه في الفصل الثالث ، اذْ كان يتحوي على قصص اسبانية وتقاليد اسبانية ايضاً متاثرةً بالعربية ومعلومات ادبية قيمة فيها امتدادات عربية واضحة . وكتاب El libro del amigo y del Amado,Raimundo Lulio

وهو كتاب الصديق والمحبوب لرايموندو لوليو ، المتوفى سنة(714هـ / 1315م) ، الذي أغنى الأطروحة في مادته الطيبة ، التي اِستفاد منها الباحث ، لاسيما وهو يتناول بعض جوانب التصوف والأدب ، وقد أستخدم هنا في كلا الموضوعين .

وهناك كتاب آخر على جانب كبير من الأهمية هو

El Conde Lucanor,Juan Manuel, Infante de Castilla

المعروف بكتاب الكونت لوكانور ، للكاتب الاسباني دون خوان مانويل ، المتوفى سنة(749هـ/ 1349 م) ، اذ أغنى الأطروحة بمادته الأدبية المهمة ايضا ، التي هي عبارة عن قصص اسبانية متأثرة بالقصص العربية ، أوردها الباحث في ثنايا الأطروحة ، ثم مسرحية القوادة "ثيلستينا" للمؤلف فرناندو دي روخاس ، المتوفى(947هـ / 1541م) ، التي عكست احداثها ولغتها حياة الأسبان انذاك ، وسلطت الضوء على العادات الأندلسية المتوارثة لدى الاسبان .

اما أهم المراجع الأجنبية فهي :

Ceramicas islamicas y cristianas a finales de la Edad Media.

José Cristóbal للمؤلف Influencias e intercambios

ومن خلال اسمه ،السيراميك الإسلامي والمسيحي في نهاية العصور الوسطى ،

تتبين أهمية هذا الكتاب واستخدامه في الأطروحة ،ثم كتاب Al-andalus Magreb لمجموعة من الباحثين الذي ضم مجموعة من البحوث المهمة ، ولاسيما في مواضيع الجدل الديني وقضية الأسرى المسلمين عند الأسبان .

أمَّا الكتب المعربة ، فاهما المصادر الاسبانية الآتية :

كتاب لخينيس بيريت دي ايتا المتوفى سنة(1028هـ/ 1619م) المعنون الجزء الأول منه ، بحروب غرناطة الأهلية ، والجزء الثاني المعنون بالحرب ضد الموريسكيين ، وكلاهما من الكتب المهمة والمصادر الاسبانية ، التي أرخت لتلك الفترة ، وكتاب بيريث دي ايتا ، الموسوم الحروب الأهلية في غرناطة .

اما المراجع المعربة ، فأهمها ، تاريخ الفكر الأندلسي ، لانخل بالنثيا ، وهو واحد من أهم الكتب التي استفاد منها الباحث ، وتقريباً في كل فصول الرسالة ، ثم كتاب فضل الأندلس على ثقافة الغرب ، للمستشرق الكبير خوان فيرنيت ، وهو من المراجع المعربة المهمة ، اذ أغنى الأطروحة بمواضيعه المختلفة ، في معظم فصولها ، ثم الكتاب الآخر الذي لا يقل أهمية عن الكتب التي سبقته ، وهو كتاب أسبانيا في تاريخها للمستشرق الكبير أميركو كاسترو ، الذي يضم الكثير من المواضيع المختلفة والمهمة ، التي أسهمت في مجالها في كل مفاصل الأطروحة . والكتاب الآخر المهم ، هو ما نشرته الأستاذة سلمى الجيوسي ، بموسوعتها الكبيرة الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، إذ أنها حوت الكثير من البحوث لمعربة ، التي كان لها مرجع الباحث على طول مسيرة الأطروحة ، فأغنتها بمعلوماتها القيمة ، ثم موسوعة تراث الإسلام ، لمجموعة من الباحثين ، تلك الموسوعة القيمة بمواضيعها الرصينة التي زادت الأطروحة رصانة .

وليس لي في النهاية من القول ، إلا إنني قدمت ما استطعت من جهد ، لتكون هذه الأطروحة على ما هي عليه ألآن ، ولكنني لا ادعي فيها الكمال أو التمام ، بل هو عمل متواضع أضعه بين يدي أساتذتي الأفاضل ، محملاً إياهم مشقة وعناء قراءة هذه الأطروحة ، راجياً من الله ومنهم إن يغفروا لي ما وقع فيها من خطأ ، أو نسيان فهذه من صفات البشر .

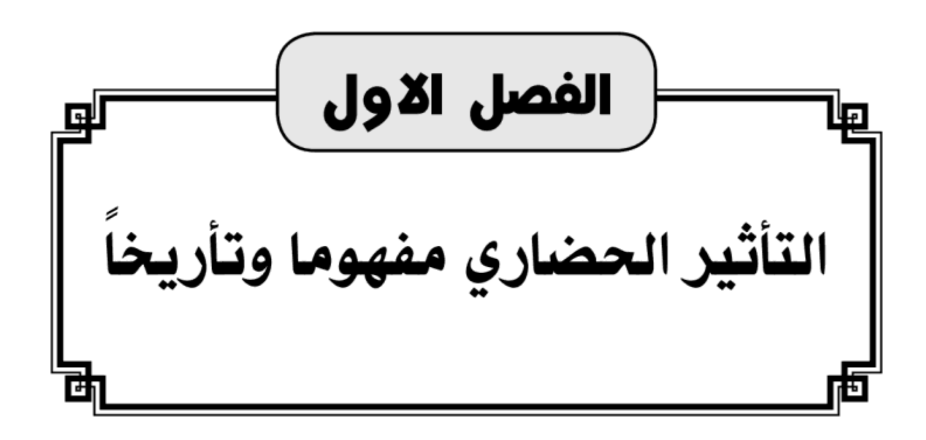
والله الموفق للصواب . . .

**الباحث**

# محتويات الكتاب

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضـــوع | الصفحة |
|---|---|



# الفصل الاول

## التأثير الحضاري مفهوما وتأريخاً

## المبحث الأول

# التأثير الحضاري

كانَ للوجودِ العربي ألإسلامي في الأندلس الأثر الواضح في المجالات شتَّى ، وفي مختلف الميادين ، كما كان من نتائج احتكاك المسلمين بجيرانهم المسيحيين أنْ تلقّحت الحضارتان ، واتسعت دائـرة الثقافتين المسيحية والإسلامية ، وذلك أنَّ أكثرَ مِنْ ثمانية قرون من الاختلاط والاحتكاك لابدَّ لها مِن أنْ تتركَ آثاراً وتخلِّف بصمات واضحةِ المعالم في الأدب والتاريخ والاجتماع والدين والفلسفة ، وغيرها من العلوم الأخرى .

وإنَّ موقعَ الأندلس الجغرافي ، ووقوعَها في الأطراف الغربية ، البعيدة للعالم ألإسلامي ، إلى الجوار من الغرب المسيحي ، جعلها في مواجهة مستمرة ودائمة مع الممالك المسيحية في الشمال الإسباني ، ومناطق الغرب الأوروبي ، وبذلك كانت من أكثر الدول ألإسلامية معرفة وتأثيراً وتأثراً بهذه الممالك والمناطق . الأمرُ الذي جعل إمكانية النقل الحضاري بين الجانبين أمراً يكادُ أنْ يكون ضرورياً ، ولم يكن هناك ما يمنع الاتصال بين الجانبين حتى في أوقات الحرب ، بسبب التجاور والملاصقة ، وبذلك تكون الأندلس قد تأثَّرتْ بأسبانيا وأثَّرتْ بها .

ومنذ بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، أخذت دولة مسيحية ، أو دول عدَّة ، تتكون في شمال شبه الجزيرة ، على مهل – بعد أنْ كانت كلَّها خاضعة لسلطة العرب تقريباً – وتأخذ اشكالاً إدارية وسياسية وحضارية مغايرة للدولة ألإسلامية القوية في الجنوب ، وبدأت هذه الدويلات تنمو وتتسع ، ويصبح لها أدبها وفنها وحضارتها . ولاشك في أنَّ المسلمين في الجنوب كانوا أكثر تقدماً ، وأرقى تحضراً ، وابداعاً ، في مجال الفن ، ولاشك ايضاً في أنَّ التبادل الحضاري بين الجانبين لم يتوقف ولا للحظة واحدة .

وإنَّ الأخذ والعطاء كانا مستمرين ، حتى في أشد ظروف الحرب ضراوة ، فقد كان المسلمون يعطون الكثير ، ويأخذون القليل ، ولكنَّهم كانوا يأخذون على أي حال ، وكانت الممالك المسيحية في الشمال بمثابة النافذة التي يطلُّ منها المسلمون في الجنوب على الوان اخرى من الحضارة ، ربما كانت أدنى من الذي عندهم ، لكن يمكن الإفادة منها ، كونها تمثِّل حضارة متمايزة ، وعادات مغايرة ، وثقافة تنتمي إلى عالم آخر ، إذْ إنَّ "اهمال الجانب المسيحي ، ولاسيما في الجوانب الأدبية والثقافية والدينية ، جعل الدراسات الأندلسية تقليدية . وإذا كنّا ندرس الحضارة الأندلسية لذاتها ، فنحن ندرسها ايضاً لأنَّها الرافد الذي عاشت عليه أوروبا قبيل نهضتها الأخيرة ، وتتبع مساره وما حمل لا يتأتى لنا دقيقاً واضحاً الا إذا عرفنا ما الذي كان يحدث في الجانب المسيحي من الأندلس ، ماذا أخذوا عن مواطنيهم المسلمين وما الذي اعرضوا عنه ، ماذا كان عندهم من اشكال أدبية رومانية أو يونانية أو جرمانية ، لم يحاول المسلمون أنْ يستفيدوا منها ، أو حاولوا واخفقوا ، وما الذي اقتبسوا منهم أو قلَّدوهم ونجحوا في التقليداً"[1] .

ويذهب أحدُ الباحثين المحدَثين إلى القول بأنَّ هناك "حقيقة تاريخية لا يختلف فيها إثنان ، وهي أنَّ الوجود العربي ألإسلامي في الأندلس لعب دوراً حضاريا أثَّرَ على بلاد الغرب تأثيراً عظيماً ، في الأدب والعلوم ، وهذا لا يعني أنَّ الحضارة الأندلسية لم تتأثر بالحضارة الاسبانية ، بل كان التأثير متبادلا ، وإنْ كان التراث الأندلسي أكثر وأوضح أثراً في مثيلة الإسباني عموماً"[2] .

إنَّ الإتصال بين الناس ، وتبادل الأفكار والعادات ، ظاهرة طبيعية لا تختص بزمن معين ، ولا ببيئة معينة ، وقد خلق الله تعالى الناس امماً لتتعارف وليكمِّل بعضها بعضاً ، ولا يتمُّ ذلك إلا بالتبادل الحضاري فيما بينهم ، وقد فسَّر إبن خلدون (ت 808هـ/ 1406م) هذا التأثير بأنَّهُ راجع إلى تقليد الضعيف للقوي . وقد عقد له فصلاً كاملاً اسمَّاه "في أنَّ المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في

1) الطاهر ، احمد مكي ، ملحمة السيد ، دار الشؤون الثقافية ، ( بغداد ، 1991م) ، ص4 .
2) الأحرش ، سعيد ، الصورة النمطية للشخصية ألإسلامية الإندلسية ، في المدونات التاريخية والكتابات الأدبية الإسبانية ، مقالة على شبكة الأنترنيت WWW.andalusite.ma/vi/arabe

شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"[1] ويفصِّل القول ذلك تفصيلاً ، ويسهب بهِ ، قائلاً :

« ذلك أن النفس أبدًا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه : إما لنظره بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعى إنما هو لكمال الغالب فإذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقاد فانتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء أو لما تراه ، والله أعلم من أن غلب الغالب لها ليس بعصبية ولا قوة بأس وإنما هو بما انتحلته من العوائد والمذاهب تغالط أيضًا بذلك عن الغلب وهذا راجع للأول . ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبدًا بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه فى اتخاذها وأشكالها ، بل فى سائر أحواله . وانظر ذلك فى الأبناء مع آبائهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائمًا وما ذلك إلا لاعتقادهم الكمال فيهم . وانظر إلى كل قطر من الأقطار كيف يغلب على أهله زى الحامية وجند السلطان فى الأكثر لأنهم الغالبون لهم حتى إنه إذا كانت أمة تجاور أخرى ولها الغلب عليها فيسرى إليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير ، كما هو فى الأندلس لهذا العهد مع أمم الجلالقة ، فإنك تجدهم يتشبهون بهم فى ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم وأحوالهم حتى فى رسم التماثيل فى الجحران والمصانع والبيوت حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة أنه من علامات الاستيلاء والأمر لله . وتأمل فى هذا سر قولهم : العامة على دين الملك ، فإنه من بابه إذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به لاعتقاد الكمال فيه اعتقاد الأبناء بآبائهم والمتعلمين بمعلميهم .والله العليم الحكيم وبه سبحانه وتعالى التوفيق "[2]

وقد يحدث العكس ، فيؤثر الضعيف في القوي ، وهذا قليل جداً إذا أحسَّ القويُّ بنقص ، في بعض نواحي حياته ، لاسيما الفكرية منها ، فيلجأ إلى التزود بالمعرفة من الجانب الضعيف ، ونجد لذلك مثالا في تأثير الأسبان بالعرب في أثناء قوتهم والعكس صحيح . وإنَّ عدداً من الباحثين الذينِ سيمرون عينا في هذا البحث يرجِعون التطورات التي حدثت في الأندلس إلى أصول عربية ، وينفون

1 ) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن ، ( ت 808هـ/ 1406م) ، مقدمة ابن خلدون ، تحقيق ، عادل بن سعد ، دار الكتب العلمية ، ( بيروت ، 2010م) ، ص116 .

2) المصدر نفسه ، ص116 .

أيَّ أثر دخيل عليهم ، وهنا يجب النظر بعين الانصاف إلى تلك الامور . صحيح أنَّ الحضارةً العربية لها اليد الطولى في التأثير على أسبانيا واوروبا ، إلا أنَّ المتتبّع لحياة العرب في أسبانيا ، يجد أنَّ الأندلسيين قدْ اقتبسوا من مظاهر الحضارة الاسبانية ، وإنْ لم يكن كثيراً ، وهو أمر طبيعي للمجاورة بينهم على ارض واحدة لمئات السنين . «وبحكم هذا التفوق العظيم للحضارة العربية ، ظهرت تأثيراتها في شمال أسبانيا» [1] على أنَّ هذا التأثير متفاوت في القوة والضعف ، وبحسب طبيعة الموضوع والمرحلة الزمنية .

وكان العلماء الأوروبيون هم أول من أشار إلى هذا التأثير المتفاوت – الذي كان في أكثر جوانبه عربي – وبرهنوا عليه وأشاروا إليه إشارات واضحة احياناً وخفية احياناً أخرى ، على أنَّ هذا الرأي لم يَسلم من النقد والتجريح . ولم يكن الراي السائد في الأوساط الأدبية ، بل كان هناك رأي معارض آخر ينتقص من شأن المسلمين وصفاتهم في أسبانيا ، واعتبروا الوجود العربي هو السبب في تأخر أسبانيا عن ركب الحضارة في الدول الأوربية الاخرى ، والقوا بلائمة التخلف الذي عاشته أسبانيا- ولاسيما بعد خروج العرب منها- على العرب أنفسهم . وسنعرض تلك الآراء بالتفصيل عن التأثير والتأثير المتبادل للتفاعل الحضاري ، لاسيما وأنَّه قد «رأت منظمة اليونسكو أنَّ أكثر ثقافات العالم تلاقيا هما الثقافات العربية والاسبانية»[2]

**اولا- بواكير الدراسات التي نادت بالأثر العربي في أسبانيا.**

في « سنة[ 978هـ]/ 1571م ، صدر للباحث الايطالي باربييري Barbieri كتاب بعنوان "اصل الشعر المقفى" خصص فيه فصلاً لمعالجة انتشار الشعر العربي المقفى بين الاسبان والبروفنسيين "[3]

1) بيدال ، رامون مننذث ، أسبانيا حلقة وصل بين المسيحية والإسلام ، ترجمة ، لطفي عبد البديع ، مجلة المعهد المصري للدراسات ألإسلامية ، ع(1) ، ( مدريد ، 1953م) ، ص3 .

2) فيرنيت ، خوان ، فضل الاندلس على ثقافة الغرب ، ترجمة ، نهاد رضا ، دار اشبيلية ، (دمشق ، 1997م) ، ص22 .

3) الأوسي ، حكمت ، جوانب من التأثير العربي في الشعر الاسباني والاوروبي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ع(29) ، (بغداد ، 1980م) ، ص43 .

وبذلك قد وضَّح الباحث تأثر الاسبان والبروفنسيين بالحضارة العربية في احدى صروحها ، من خلال اشارته إلى الأصل العربي للشعر عندهم .

وقد تناول عالِم آخر مسالةَ تأثر الأسبان بالحضارة العربية بكل وضوح ، وفصَّل القول في اتم صورة واشاد بالتاثير العربي في الحضارة الاوروبية ، وشرح العلوم والآداب التي انتقلت إلى اوروبا عن طريق العرب ، وهذا العالم هو الأب خوان اندريس من رجال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ، إذ أشار إلى الأثر العربي في الثقافة الأسبانية بخاصة ، والأوروبية بعامة . . . فقد الَّف كتابه بالايطالية بين "سنتي [1196هـ- 1212هـ] 1782 و 1798م وسمَّاه اصول الأدب عامة وتطوراته وحالته الراهنة ، ثم تُرجم إلى الأسبانية بإسم Origen، Progroso Y estedo octual de toda la literature وأكد فيه على : أنَّ الفضل في قيام الدراسات الطبية في اوروبا يرجع إلى ماكتبه العرب"[1] و"ان قيام التأليف العلمي في اوروبا في الطب والرياضيات والعلوم الطبية مرجعه إلى العرب ، وذكر الكثير من العلوم التي درسها الاوروبين على الأساتذه العرب و نقلوها عنهم إلى اوروبا ، أمَّا عن التأثير العربي في أسبانيا خاصة فقد اشار هذا الأب اليسوعي . . . إلى حقيقة في غاية الأهمية ، و قد اثبتها البحث العلمي فيما بعد ، كما أثبت غيرها من حقائق التأثير العربي في اوروبا مما اشار اليه خوان اندريس ، وهي الازدواجية اللغوية في الأندلس ، وإقبال الشباب الأسبان على تعلم اللغة العربية ، تعلقاً بها واقتناعاً بفضلها وتفوقها"[2]

وتوالت بعده الدراسات والبحوث التي قام بها العلماء على طول الحُقبة المُمتدة بين دعوته واليوم .

فقد كتبَ «سبنسر سمث Spencer Smith في سنة [ 1235 هـ] 1820م مقالاً ، حاول فيه تفسير شريط الكتابة الكوفية في صندوق العاج الشهير بكاتدرائية بايه

1) بالنثيا ، انخل جنثالث ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة ، حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة ، (مصر ، بلا . ت) ، ص33 ؛ عبد البديع ، لطفي ، ألإسلام في أسبانيا ، مكتبة النهضة المصرية ، (مصر ، 1969م) ، ص30 .

2) الاوسي ، التاثير العربي في الثقافة الاسبانية ، سبله ومراجع دراسته ، دار الشؤون الثقافية ، (بغداد ، 1984) ، ص33-34 .

Bayeux[*] . . . وجاء بعده فيلمان willemin فدرس سنة [1245هـ] 1830م الصفحة الأولى من مخطوط الرؤيا ليوحنا اللاهوتي محفوظ في المكتبة الاهلية ،Fonds Latin 1075 وتعرف بإسم Apocalypse de saint Sever ، ولاحظ أنَّ في اطارها تقليداً عجيباً للكتابة العربية في القرن الحادي عشر ، وإقتفى أثره لونجيرييه Longperier فكتب سنة [ 1262هـ] 1846م مقالاً عن استخدام الحروف العربية في الزخرفة لدى الشعوب المسيحية في الغرب .

L'emploi des caractères arabes dans L'ornementation chez les Peuples chrètiens dòccident-Revue Archèologigue 1846

وكان هذا المقال أساس بحث قدمه سنة [1293هـ]/ 1876م إلى جمعية الاثاريين الفرنسيين الاستاذ الفرنسي لوى كوراجو Louis Caura Jod وكذلك تحدث إميل برتو Emile Bertaux سنة [1312هـ]/ 1895م عن التأثيرات ألإسلامية في بعض العمائر المسيحية بايطاليا وفرنسا .

Les arts de lòrient musulman dans lÍtalia mèridionale , Mèlanges de LÉcole Francaise de Rome, tome XV

ثم درس في سنة [1324هـ] 1906م التأثيرات ألإسلامية في الفنون الأسبانية ، على أنَّ العالم الفرنسي اميل مال E. Mále كان أول من عُنِي بموضوع التأثيرات ألإسلامية حق عنايتة ، فكتب سنة [1329هـ] 1911م مقالاً عن تأثيرات عمارة المسجد الجامع بقرطبة في بعض الكنائس الفرنسية .

La Mosqueé de Cordoueet Les éqlises de LÁuverqne et du Velay, Revue dárt ancient et moderne , 1911

ثم كتب في سنة [1341هـ] 1923م مقالا جمع فيه أمثلة كثيرة لتأثير الظواهر المعمارية ألإسلامية في أبنية الكنائس الفرنسية في القرنين [ الخامس والسادس الهجري] الحادي عشر والثاني عشر الميلادي .

Les inflaences Arabes Sur L'art roman, Revue des Deux Mondes , novembre 1923 [1341 هـ]

*) كاتدرائيه بايه : لم اجد لها ترجمة .

. . . ومنذ ذلك الحين اهتم مؤرخو الفنون الفرنسية والاسبانية والايطالية في العصور الوسطى بإستقصاء تأثير الفنون ألإسلامية فيها ، كما اهتم بذلك مؤرخو الفنون ألإسلامية انفسهم ، فعقدوا في كتبهم فصولاً لبحث هذا الموضوع ، وكتب الاستاذ سولية G. Soulier مقالاً عن الحروف الكوفية في التصوير التوسكاني .

Les caractéres Coufique dans la Peinture to Scane,- Gazette des Beaux – Arts, 1924 [1342 هـ] –

ثم كتاباً عن التأثيرات الشرقية في التصوير المذكور

Les influences arienta les dans la peinture toscane. Paris Laurens. 1924 .

وكتب الاستاذ هينرخ جلوك H–Glück [1339هـ] سنة 1921 م مقالاً عرض فيه لتأثير العثمانيين في الفنون الاوربية .

Kunst and Künst and den Hofen des xvle bis XV III. Jahrchun derts und die Bedeutung der Osmanen Für die euro Pàische kunst –Historische Bletter, herausq . Vom Staatsarchiv wien, 1921 [ 1339هـ ].

وظهر كذلك مقال موضوعه الشرق وصور البندقية ، كتبه الأستاذ جيل ديلا توريث Gille de la Tourette سنة [1341هـ] 1923م ، في مجلة برلنجتن . وكتب نخبة من الاثاريين الأسبان المقالات والكتب ، التي تحدثت عن فنّ المستعربين[*] وفن المدجنين[**] والتأثير ألإسلامي فيهما . وكان منها كتاب الاستاذ جوميز مورينو Gomez Moreno ، سنة [1337هـ] 1919م ، عن كنائس المستعربين . ومنها مؤلفات الاستاذ بيوك كادا فالش Puiq v Gadafalch ، وكذلك كتب الاستاذ الدكتور كونل Kühnel مدير متاحف برلين مقالات عدة في تأثير الفنون ألإسلامية في فنون الشرق . وفي سنة [1346هـ/ 1928م] قدمت السيدة . . . هنريت ديفونشير Madame R. L Devonshire في مؤتمر المستشرقين في اكسفورد بحثاً عن بعض التأثيرات ألإسلامية في الفنون

*) المستعربون :– سياتي التعريف بهم بصورة مفصلة من هذا البحث .

**) المدجنون :– سياتي التعريف بهم بصورة مفصلة من هذا البحث .

الاوروبية ، وكان هذا البحث اساساً لمحاضرات أربع الَّفتها باللغة الفرنسية في الجمعية الجغرافية الملكية . . .

Quelques in Fluences Islamiques sur les Arts de I EuroP-le caire, schindler 1935 [1353هـ].

ويمتاز هذا البحث الشائق بسهولته ، وبكثرة صوره ، التي تساعد على فهّم ما فيه من نظريات ومقارنات "(*)(1) .

تلك هي أهم نماذج للدراسات على امتداد التاريخ ، وصولاً إلى العصورِ الحديثة ، إذْ تنامت الدعوات لإبراز الدور العربي في التراث الأسبانيِ بخاصةً والاوروبـي بعامة ، وبعد ذلك توالت الدراسات على نحو كبير جداً ، حولَ الفضل الحضاري للعربِ على الأسبان .

وقد إنقسم الباحثون إلى مؤيدٍ لتلك الاطروحة ومعارض لها ، وسنستعرض تلك الآراء بشيءٍ من التفصيل ، وسنورد اقوال العلماء والباحثين ، وآرائهم ، في تأثير العرب من عدمه ، غير متناسين لما قدمه الأسبان للعربِ في تلك المرحلة .

**ثانياً:- العلماء الذين أشادوا بفضل العرب على أسبانيا واوروبا.**

لقد شهدت بدايات القرن العشرين معركةً فكريةً حاميةَ الوَطيس بين كل مِن سانشين البورنوث واميركو كاسترو ، إذْ يرى الأول أنَّ الثقافةَ العربيةَ ألإسلاميةً هي الأساس في كلِّ سلبيات أسبانيا ، بينما يرى الآخر أنَّ هذه الثقافة العربية ألإسلامية قدْ أثَّرتْ إلى حدٍّ بعيد في ادباء أسبان ، في " الكوميديا الالهية " لدانتي(**) وفي

1) مجموعة من الباحثين ، تراث ألإسلام ، ترجمة ، زكي محمد حسن ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، (مصر ، 2007م ) ، ج2 ، ص ز – ي من مقدمة المترجم .

*) اضطررت إلى إعتماد هذا المؤلف لأنّه جمع كلَّ هذه الجهود في بحثه وتتبعها تاريخياً لذلك فقد اغنانا عن تتبعها تاريخياً ، بالنظر لصعوبتها .

**) دانتي :– هو دانتي اليجييري وَلد سنة 663هـ/ 1265م يعد عمله الكوميديا الالهية ، ابرز عملِ عالمي ، ومن أشهر الأعمال الأدبية في القرون الوسطى ، وقد اظهرت البحوث مؤخراً أنَّ عملَه هذا قدْ اقتبس فكرته من قصة الاسراء والمعراج ، توفي سنة 721هـ/ 1321م . ينظر ترجمته ، دانتي اليجييري ، ت(721هـ/ 1321م) ، الكوميديا الالهية ، ترجمة ، حسن عثمان ، ط3 ، دار المعارف ، ( مصر ، 1988م) ، ص 13–18 .

الفيلسوف الفرنسي باسكال(*) [1072هـ/ 1662م][1] ، أمَّا ريتشارد كوك عند حديثه عن هذا الموضوع ، فنراه يقارن بين الحضارة العربية في الأندلس وأسبانيا انذاك بقوله : "تَدينُ اوروبا بالشيء الكثير لأسبانيا العربية ، إذْ حملتْ قرطبة مصباح العلم وضاءً في زمان كان العلمُ فيه في بلدان اوروبية اخرى خافتاً كبصيص نار مختنق ، إنَّ التصور الخلاق الذي استطاع أنْ يقيمَ صَرحاً كالحمراء ويبني مسجداً للعبادة كجامع قرطبة ، إنَّما يعطينا مثلاً للفارق البعيد ، بين هؤلاء والهمجية الطليقة التي كان يتردى فيها الفرنجية والنورمان[**] ، بما فيها من غليظ الأخلاق وفضاضة المزاح والميل الشديد نحو القذارة وخشونة العيش ، ولقد استطاع نظام الحكم العربي أنْ يخلق طرازاً من المدينة كان نسيجاً وحده في اوروبا ، حتى لقد هيأ لأسبانيا أنْ تكون الدولة الوحيدة في اوروبا ، التي افلتت من عصور الظلام"[2] .

وقال اخر ، وهو الدوق البا مُشيداً بفضلِ المسلمين على الدانتيين ، في مسألة تأثير إبن عربي ، وكتابه (المِعَراج) فيَ كوميدا دانتي الآلهية "إنَّ أهم اكتشاف للعالم ميجيل آسين بالانثيوس ، قامت عليه شهرته هو موضوع كتابه الكوميديا الالهية والإسلام "ونعني به اكتشافه أنَّ النماذج ألإسلامية هي التي

---

1) عبد الرحمن ، جمال ، صدى سقوط غرناطة في الأدب الأسباني ، مطبعة باييريس ، (زغوان ، 1993م) ، ج2 ، ص201 .

2) مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الاوربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، (مصر ، 1960م) ، ص17 .

*) باسكال :- فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي ، ولد في مدينة كليرمونت فيراند بفرنسا ، اظهر نبوغاً مبكر في الرياضيات منذْ أنْ كانَ طفلاً واشتغل في حركة دينية تسمى الجانسينية ، توفي سنة (1072هـ/ 1662م) له في حجة اثبات المعاد ووجود الاخرة مخاطب . الملحدين « ان كسبتم كسبتم كل شيء واذا خسرتم لم تخسروا شيئاً . وهذه الحجة ذكرها الامام علي (عليه السلام) مخاطب من يجادله في امر الاخرة إنْ كان الامر على مازعمت تخلصنا جميعا وإنْ كان الامر كما قلت فقد هلكت ونجوت . ينظر ترجمته : بكري علاء الدين وفاطمة الجيوسي ، الموسوعة العربية الميسرة ، مطبعة الهيئة العربية العامة للموسوعة (دمشق ، 2010م) ، ج4 ، ص611 .

**) النورمان : يعرفون بالفايكيينغ أو المجوس ، وهم سكان سواحل الاسكندنافية ، الدنمارك ، السويد ، النرويج ، سُمّو بالمجوس لاعتمادهم على النار في كلِ شيء .ينظر ترجمتهم المقري ، احمد بن محمد بن احمد المقربي التلسماني (ت1041هـ/ 1632 م) ، نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، 1988م) ، ج1 ، ص 350 و ص383 –384 .

أوحت لدانتي بكوميديته الآلهية . وأمّا الدانتيون الايطاليون بخاصة ، فلم يعترفوا إلا على مضض ، بأنَّ الأصول ألإسلامية كانت الأساس الذي بنيت عليه الكوميديه الالهية ، تلك القصيدة التي تمثِّل ثقافة اوروبا المسيحية برمتها في القرون الوسطى"[1] .

وأمّا حركة الترجمة في الأندلس ، فقد كانَ لها نصيبٌ في اقوالِ العلماء ، إذْ قال لكير بحقها وفضلها على إنتشار المعرفة باوروبا "أمام هذه الحقائق ، نستطيع أنْ نُدرك أيَّة ثورة فكرية بعثتها في الغرب حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، وأيَّة فائدة جناها العلماء منها ، فكانت هذه الترجمات أداةً جوهريةً للتقدم وانتشار العلم العربي ، المنتعش بجانب الغرب"[2] .

وكان للمستشرق الايطالي الدومبيلي كلامٌ مهمٌّ ، أنصفَ فيه المسلمين بحضارتهم الراقية ، قائلاً : «أمَّا في شبهِ جزيرةِ الأندلس ، فقد كانت حركةُ نقل العالم العربيِّ إلى العالم المسيحي أعمق تغلغلاً واشد قوة ، ودامت مدَّة اطولَ عهداً من كلِّ مكان أخر ، كما تحقَّق هناك التطور الحاسم الذي كان لابدَّ أنْ يعتمد عليه تجديد العلم الاوروبي ، وبالإضافة إلى الرحلات البحرية العظمية التي أدَّتْ إلى الكشف عن القارتين العظميتين في العالم الجديد ، بعد إزدهار العلم العربي ونقله إلى العالم المسيحي أسمى آيات المجد والافتخار لأسبانيا وقطلونيا والبرتغال»[3] . وفي معرض حديثه عن الترجمة والكتب المترجمة ، وكيفيةِ نقل علوم العرب إلى أسبانيا ، قال خوان فيرنيت : «وفي القرن السادس الهجري/ الثانيَ عشر الميلادي ،عصر المرابطين حركة ترجمة واسعة ، واكتسبتْ هذه الحركة قوةً غير عادية إذْ أصبح عدد الكتب المترجمة في صقلِّية وأسبانيا يثير الإعجاب ، وتدفَّق علمُ الاغريق والرومان على الأديرة الاوروبية من خلال العقول العربية . وقدْ اطلقت اسماء العديد من المدن الأسبانية على مجموعة المخطوطات الرياضية والفلكية ، التي تَرجع إلى ذلك العصر . ومن بين تلك

---

1) المرجع نفسه ، ص19 .
2) مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الأوربية ، ص19 .
3) عُبية ، طه عبد المقصود عبد الحميد ، الحضارة ألإسلامية ، دراسة في تاريخ العلوم ألإسلامية ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 2004م) ، ج2 ، ص953 .

المدن التي كانَ أساقِفَتِها توّاقينَ إلى المعرفة ، طَرسونة Tarazona[*] ، وبنبلونة Panplona[**] ، وبرشلونة Barcelona ، وسَرقسطة Saragoza ، وطرطوسة Tortosa[***] ، وتتفوق طليطلة Toledo في هذا الميدان على جميع هذه المدن ، إذْ تَوافدَ عليها عددٌ كبيرٌ من العلماء الاوروبين المتلهفين على المعارف العلمية الشرقية" [1] .

وأخيراً ، الأميرُ تشارلز ، وليُّ عهدِ بريطانيا ، في كتابه ألإسلام والغرب ، كان له رأيه وادلى بدلوهِ في هذا الموضوعِ ، إذْ ذكرَ في كتابه المذكور فضلَ العربِ على أسبانيا واوروبا قائلاً : "إنَّ هناكَ قدراً من الجهلَ بالفضل الذي تَدين به ثقافتُنا وحضارتُنا لعالم ألإسلام ، فالعالمُ ألإسلامي في العصور الوسطى – كان عالماً إزدهر فيه الباحثَون المختصون ورجال العلم ، ولكننا جنحنا إلى تجاهل ذلك ، وقلّلنا من أهمية ثمانِ مائةِ سنةٍ ، كانت اوروبا خلالها عالةً على أسبانيا ألإسلامية ، التي حافظت على العلومَ والمعارف ، فوضعت الثقافة ألإسلامية بالأندلس أساس اللَّبَنَات الأولى للنهضةِ الاوروبية"[2] ويضيف : "كانتْ أسبانيا في عهد المسلمين أكثرَ من مجردِ مخّزن للإحتفاظ بالعلومِ والمعارفِ

---

1) الرياضات والفلك والبصريات ، ترجمة ، حسين مؤنس واحسان صدقي العميد ، بحث منشور ضمن كتاب تراث ألإسلام سلسلة عالم المعرفة ، تصنيف ، شاخت وبوزورث ، ط2 ، مطابع الوطن ،( الكويت ، 1988) ، ج2 ، ص347– 348 .

*) طرسونة :– مدينة بالأندلس ، تابعة لمدينة تطيلة ، تُوصف بأنَّها مُستقرُّ العُمّال والقُوّاد بالثغر ، تبعد عن تطيلة اثنا عشر ميلاً . ينظرترجمتها ، الحميري ، محمد عبد المنعم بن محمد ،( ت 900هـ/ 1494 م) ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق ، إحسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان ، ( بيروت ، 1984) ، ص389 . وهناك كلام حول وفاة الحميري ، ففضلاً عن ما ماذكرنا ، هناك رأي يقول أنَّهُ توفي بعد سنة (700هـ/ 1294م) ، وللمزيد من المعلومات حول هذا الافتراض في سنة الوفاة راجع المنوفي ، محمد ، حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف الروض المعطار في خبر الاقطار ، مجلة المناهل ، ج10 ، السنة الرابعة ، (الرباط ، 1977 م) ، ص367 .

**) بنبلونة :– مدينة بالأندلس ، بينها وبين سَرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً ، كانت فيها مملكة غرسية بن شانجة ، سنة ثلاثين وثلثمائة ، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص104 .

***) طرطوسة :– أو طرطوشة ، تقع بالقرب من بلنسية ، وبينهما مائة ميل وعشرة اميال ، وهي في سفح جبل ، وهي مدينة تشتهر بالاسواق العامرة ، ينظر المصدر نفسه ، ص391 .

2) عُبية ، الحضارة ألإسلامية ، ج2 ، ص988 .

الشرقية ، بل فسَّرت تلك الحضارة ، وتوسَّعت بها ، وقدَّمت مساهمة هامة في جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني ، في العلوم والفلك والرياضيات والجَبْر ، والقانون والتاريخ والطب وعلم العقاقير والبصريات والزراعة والهندسة المعمارية ، وعلم الدين والموسيقى . وقد ساهم إبن رشد وإبن زَهر "وهما أندلسيان" ، على غِرار نظيرَيهما الرازي وإبن سينا في الشرق ، في دراسة الطب ، وممارسته بطرائق إنتفعت بها اوروبا لقرون عدَّة"[1] .

تلك هي نماذج من أقوال العلماء والباحثين ، حول فضل العرب المسلمين ، ومساهمتهم في خلق الحضارة ، ونقلها إلى أسبانيا واوروبا .

**ثالثاً:- العلماءُ الذين أنكروا فضلَ العربِ على الأسبان.**

أمَّا الرأيُ الآخر ، فهو بالنقيض من الرأي السابق ، ويسلب العربَ فضلَهم الحضاري ، بل ويحملَّهم المسؤولَيةَ في التخلّف الذي عاشته أسبانيا فيما بعد ، وعلى الرغم من أنَّ الناظر إلى حضارة اوروبا وأسبانيا في العصور الوسطى ، يرى فيها عبارة عن تجمعات سكّانية همجية ، لا تعرف من الحضارة أبسط درجاتها ، ولا من الحياة إلا الغزو والسلب والنهب ، والعيش في ظلام التخلف .

وقد كَتَبَ أحدُ هؤلاء العلماء ، عن ألإسلام وإعاقته للحضارة – بحسب ادعائه– قائلاً : «لو لم يكنْ ألإسلام لسارت أسبانيا في نفس الطريق الذي سلكته فرنسا والمانيا وايطاليا وانجلترا ، وقد كان ينبغي لأسبانيا أنْ تكون في الطليعة لو أنَّ الامور سارت في أسبانيا بمثل ما سارت به الأُمم الأُخرى خلال هذه القرون ، ولكن ذلك لم يحدث ، غزا ألإسلام شبه الجزيرة كلّها ، وغيَّر مصائر ايبريَّا ، وقسَّم لها دوراً مختلفاً في مهزلة التاريخ المحزنة ، وهو دور التضحية واليقظة ، دور الحارس والمعلم ، وهو دور له اهميته الكبرى في حياة اوروبا ، ولكنه كلَّف

1) المرجع نفسه ، ج2 ، ص988 .

أسبانيا كثيرا»[1] .

وثمة مستشرقٌ آخر هو ك .س ـــ ألبورنوثُ ، غضَّ النظرَ عن فضل الحضارة العربية في أسبانيا ، وأنكرَ أيَّ وجودٍ لها في حياة المجتمع ، والثقافة الأسبانية ، قائلاً : «إنَّ أسبانيا تقتصرُ أصولها على العناصر الرومانية والقوطية اللاتينية الكاثوليكية»[2] . وبذلك يكون هذا المستشرقُ قدْ حصرَ تكوين أسبانيا الثقافي والحضاري ، بتلكَ الأمم وحضارتَها ، متناسياً ثمانيةَ قرون من الوجود العربي ألإسلامي في تلك الأرض ، والظاهرُ من حديثِه تعصبُه الكبير ضدَّ العرب ، وهو قولٌ مجانبٌ للصواب ، إذْ إنَّ أيَّ وجود- وليس فقط العرب المسلمين ، وإنَّما أيَّ مكون آخر- حملِ ما حمل من ثقافة ، وبقي هذه المدَّة من الزمن ، لابدَّ أنْ يترك أثر ما ، ولاسيما أنَّ ذهنية وثقافة الأسبان ، هي ذهنية خام ، لم تحمل أيَّ حضارة علًى مستوى العرب أنفسهم .أمَّا المستشرق جاسيت .أ .إي (ت 1955م) ، فقد ساند زميله السابق في رأيه ، واضاف قائلاً : «الثقافة ألإسلامية جافة ، وعقيمة ، لفرط ما هي خاضعة لهيمنة القرآن والصحراء ، والعرب في الاندلس لم يشكّلوا ابداً عنصراً اساسياً في هويتنا القومية»[3] .وكأنَّه لم يقرأ عن إبن رشد القرطبي ، وتأثيره في أوروبا وأسبانيا ، بل وذيوع الرُشدية في كلِّ انحاء اوروبا لمدة طويلة من الزمن ، وتناسى أنَّ العربَ وفي يوم من الايام قد حكموا كلَّ انحاءِ شبه الجزيرة من قبل أنْ تكون هناك أيَّ دولة مسيحية واحدة تحكم بإسم قوميتهم ، على طول ثمان مائة سنة .

لقد اقتصرنا على هذه الأقوال ، للأنموذج الثاني ، القائلِ بعدم وجود أيّ تأثير للعرب في الحضارة الأسبانية ، أو أنَّ الوجود ألإسلامي وَقَفَ عائقاً أمامَ تقدم الإسبان ، حضارياً ، وسنعمل على إثبات العكس في هذه الأطروحة ، محاولين

1) ترند ،ج .ب ، أسبانيا والبرتغال ، بحثٌ منشورٌ ضمن كتاب تراث ألإسلام ، سلسلة المشروع القومي للترجمة ، ترجمة : قاسم عبدة قاسم ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، (مصر ، 2007م) ، ج1 ، ص3-4 .

2) شيخة ، جمعة ، القيم والخصال في شجرة الاستشراق الأسباني الوارفة الظلال ، شركة سيتي جرافيك ،( الكويت ، 2004م) ، ص102 .

3) شيخة ، القيم والخصال ، ص102 .

-وبالحقائق- توثيق أثر العرب في الأسبان ، وسنضيف أثر الأسبان في العرب ، لأنّنا نظرنا إلى اسلافنا فوجدناهم - ومن دون تعصب - يشيرون إلى تأثرهم بالأسبان ، في المواطن التي كان للأسبان تأثير فيها .

واخيراً ، هناك راي لكوديوسانشيز البورنث Cloudio Sanchez Albornoz ، يقول فيه : "إنَّ الفتح أضاف فقط بريقاً سطحياً لسكان البلاد الأصليين الذين استمرّوا في تمثيل سمات الشخصية والثقافة الأسبانية"[1] .

وهو رايٌ وسطٌ ، بين الرأيين السابقين ، وهو ايضاً مجانب للصواب ، ويتضح هذا من خلال المعطيات التي سنوردها ، إلا إنَّه أقلُّ حدةً وتطرفاً من الراي الثاني ، الذي أوردناه .

**رابعاً- سلطنة غرناطة، بين تأثير الشرق والغرب.**

أمَّا من حيث التأثير في سلطنة غرناطة والممالك الأسبانية ، فقد وُصِفتْ غرناطة بأنَّها مدينة جميع الأمم[2] .

و يدلُّ هذا على أنَّ غرناطة كانت- في ذلك الوقت- مرّكزاً تجتمعُ فيه كلُّ القوميات ، ومن الجنسيان بمختلفها ، العربي والأسباني والإيطالي والفارسي والفرنسي ، ومن مختلف دول اوروبا الأخرى .[3] وهذا ما يُمهدُ وعلى نحو كبيرة جداً لعوامل التأثير الحضاري بين الملتقين فيها ، بحكم تجاورهم واظطّرارهم إلى التعاملِ بينهم ، وما ترتَّبَ على هذا التعامل من عملية أخذ وعَطاء في مجالَات المعرفة كلِّها ، ابتداءاً من اللغة ومروراً بالنظم الإقتصاديةً والحياةً الإجتماعية

---

1) تمليك ، توماس ف ، التكنولوجيا الهيدروليكية في الاندلس ، ترجمة ، صلاح جرّار ، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية ألإسلامية في الأندلس ، تحرير ، سلمى الحبوسي ، مركز دراسات الوحدة العربية ألإسلامية في الاندلس ،( بيروت ، 1999م) ، ج2 ، ص1349 ؛ ربوح عبد القادر ، الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي مابين القرن 4-9هـ/ 10-15هـ ، رسالة ماجستير ،(غير منشورة) ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، 2006م ، ص81 .

2) عنان ، عبد الله ، دولة ألإسلام في الأندلس ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (القاهرة ، 2001) ، ج7 ، ص448 .

3) إبن الخطيب ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله ( ت776هـ/ 1374م ) خطرة الطيف ، رحلات في المغرب والاندلس ، تحقيق ، احمد مختار العبادي ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، (الامارت ، بيروت ، 2003م) ، ص48 .

وانتهاءً بالنظم العسكرية ، وغيرها . وعلى هذا الأساس ، فقد قَسَّم الباحثون مدَّة حكم بني نَصر في الأندلس ، من حيث التغلّب بعوامل التأثير المشرقية والغربية ، ومنها نستطيع القياس على الممالك الأسبانية ومدى تأثرها وتأثيرها . فمن الثابت المؤكد أنَّ المملكة النصرية نَمتْ خلال سنواتها الأُولى في ظلٍّ تأثيرٍ قشتاليٍ قوي[1] .

ويؤكد ذلك بعضُ مظاهر التأثير الأسباني ، التي سنفصِّلُ القول فيها فيما بعد في هذه الاطروحة ، ومنها -على سبيل المثال- أنَّ السلطانَ المؤسِس الغالب بالله محمد بن يوسف الاحمر( 591هـ- 671هـ) وعندما دخل غرناطة مؤسسا لسلطنته سنة 635هـ/ 1238م ، قد دخل مسجد الحمراء و«عليه شاية[*] ملف مضلعة»[2] وهي «تشبه هذه التي كان يرتديها فلاحو قشتالة»[3] ، وهذا ما أكّده إبنُ سعيد المغربي(ت685هـ/ 1286م) ، بقوله : «وكثيرا ما يتزيا سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم»[4] ، وكذلك ، فقد «تبَّدى لمُحمَّد [إبن] الأحمر ، ضرورة أنْ يتخذ راية ، فإختار أنْ يكون لونُها أحمراً ، وهو اللونُ

1) المالقي ، أبو القاسم إبن رضوان ، (ت783هـ/ 1371م) ، الشواهد الواضحة النهج على القصيدة المبشرة بالفرج ، شرح ، عبد الله محمد الزيَّات ، دار المدار ألإسلامي ، (بيروت ، 2008م) ص122 ؛ غومث ، اميليوغرسية ، مع شعراء الاندلس والمتنبي سير ودراسات ، ترجمة ، الظاهر احمد مكي ، ط6 ، دار المعارف ، ( القاهرة ، 1996م ) . ص130 .

2) إبن أبي زَرع ، علي بن عبد الله بن احمد ، (ت726هـ / 1326م) ، الذخيرة السَنية في الدولة المرينية ، ( الرباط ، والمنصورة ،1972م ) ، ص57 .

3) الطوخي ، احمد محمد ، مظاهر الحضاري في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مطابع رويال ، (مصر ، 1997م) ، ص74 .

4) المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص207-208 .

*) الشاية :- هذه الكلمة استعارها عرب الاندلس من جيرانهم المسيحيين ، استعاروها من الكلمة الاسبانية سايا وسايو وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية ساكيوم sagum وكلمة sayo تشير إلى عباءة واسعة لا ازرار لها ، يرتديها القروييون الاسبان . وكلمة صاية معروفة في اللهجة العراقية الدارجة وهي ايضا تشير إلى عباءة يرتديها الرجال في الجنوب العراقي ، ينظر ، دوزي ، رينهارت ، المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة ، أكرم فاضل ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ،1971م) ، ص178-177

نفسه لعلم ملوكِ قشتالة ، تعبيراً عن التقدير والعرفان للملك فيرناندو الثالث»[1] فضلاً عنَ ذلك ، فقد كانَ في تحالفه مع ملوك قشالة ، يوقِّع بإسم «دون أبو عبد الله إبن نَصر ، أو دون محمد بن يوسف ملك غرناطة ، وتابع الملك»[2]

أمَّا المرحلة الثانية ، خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، فكانت موضِع خلاف بين الباحثين ، فمنهم مَنْ أشارَ إلى أنَّ هذه المدَّة هي مدَّة النظر إلى الشرق[3] ، وتغلُّب الموضات المغربية والأفريقية [4] ، أي عودة المسلمين إلى التحلِّي والإقتداء بمعطيات الحضارة العربية ، التي فقدوا جزءً منها ، عندما تأثرت هذه الجزئية بالأسبان ، ومنهم مَن قلَّلَ ذلك التوجه نحو الشرق ، وقسَّمهُ بين الشرق والغرب [5] .

وذهب آخرٌ إلى «أنَّ الثقافة الشرقية قدْ مثَّلت جزءً عضوياً مكوناً من حياة قشتالة في القرن الرابع عشر»[6] ، واضاف كذلك في موضع حديثة عن كبير كهنة هيتا)750هـ/ 1350م)[*]أنَّه عاش "في محيط متأثر ومشبَّع بألإسلام في أسبانيا

---

1) مندوثا ، اورتادو ، ت(980هـ/ 1573م) ، حرب غرناطة ، ترجمة ، إيمان عبد الحليم وسلوى محمود ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ( مصر ، 2008م ) ، ص97 .

2) غالا ، انطونيو ، غرناطة بني نصر ، ترجمة ، رفعت عطفة ، دار ورد للطباعة ، ( دمشق ، 2009) ، ص85 .

3) غالا ، غرناطة بني نصر ، ص85 .

4) Arié، Rachel، Acerca del traje Musulmàn en Espana Desde La Caide de Granada Hasta La Expulsion de los Moriscos، Revista del Instituto de Estudios Islamicos en Madrid، ( Madrid، 1965–1966)، vol. XXX p. p. 103–104

؛عبود ، انسام غضبان ، الموريسكيون في غرناطة 897هـ/ 1492م–1007هـ/ 1598م ، دراسة في احوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة البصرة ، كلية الاداب ، 2000م ، ص64 .

5) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ،ص137 .

6) بارلت ، لوسي لوبيز ، التراث ألإسلامي في الادب الاسباني ، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية ألإسلامية في الاندلس ، تحرير سلمى الجيوسي ، ج1 ، ص764

*) القس هيتا :– هو رئيس رهبان هيتا ، صاحب الكتاب ، المعروف بالحب الصادق أو الطيب ، عارض فيه كتاب طوق الحمامة لإبن حزم ، ولد سنة 681هـ / 1283م ، وتوفي سنة 750هـ / 1350م . ينظر ترجمته سانشيز ، ماريا لوبيز ، مشاهير معاصرون ، بحث منشور في كتاب ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر ، ترجمة ، محمود علي الخطيب ، مكتبة الاسكندرية ، ( مصر ، 2007م) ، ص390 .

القرن [ الثامن الهجري] الرابع عشر ، وأنَّه كان متأثراً بقوة بهذا المحيط "[1]

تلك هي أهمُ الآراء التي قيلت عن مراحل التأثير في فترة سلطنة غرناطة ، وعند الحديث عن سلطنة غرناطة ، لا يعني هذا أنَّنا نُهمل الطرف الآخر من البحث ، وهم الممالك الأسبانية المعاصرة لها ، بل إنَّنا عند حديثنا عن هذه السلطنة ، وما يجري من عمليات مدٍّ وجزرٍ في قضية التأثير ، فإنَّ طرف المعادلة والمؤثر والمتأثر هو أيضاً الجانب النصرانيّ ، فمرحلة التأثير في سلطنة غرناطة تنطبق كذلك على الممالك الأسبانية ، فعندما يَطغى تأثيرُ الجانب ألإسلامي يَضعف التأثير النصراني ، ويكون مستلهم لحضارة الآخر ، وهكذاَ على أنَّ كلّ الذينَ تكلموا عن التأثير بين الحضارتين ، هُم في الأعم الأغلب تكلموا عن تأثير العرب بأسبانيا واوروبا ، لإزدهار الحضارة العربية ألإسلامية ، وهُم محقُّون بطبيعةِ الحال ، لتمدُن العربي الموغل في الحضارة ، على العكس من أسبانيا ، ولكنَ هذا لا يعني أنَّ الأسبان لم يؤثرو في المسلمين ، بل لقد كان لهم الأثر الملموس في جيرانهم المسلمين ، كما أوضحنا سابقاً ، الذي نَتَجَ عن الإندماج والإختلاط بين الإثنين .

**خامساً- عُروبةُ أهل غرناطة في أراء المستَشرقين.**

على أثرِ هذا الإندماج والإختلاط بين المِلَّتين ، ظهرت بوادرُ نظريةٍ اجدها مقنعة إلى حَد ما ، في بعض مفاهيمها ، التي تحملُ في طياتها تأسيساً لَمشروع جديد وخطيرٍ ، يسلبُ العربَ إنتمائهم العرقي للعروبة ، وذوبانهم في الجنسً الأسباني .

وتقوم هذه الأُطروحة أو النظرية على أساس زواج المسلمين من الأسبانيات على وجه الخصوص ، فمنذ مجيئهم جنوداً فاتحينَ إلى الأندلس لم يصطحبوا معهم عوائلهم ونساءهم ، مما إضطرهم إلى الزواج من الأسبانيات ، وقد «أسهمت المرأة المسيحية باعدادها الكثيرة في تكوين جنس لايمكن أنْ نعدَّه عربياً . ولابربرياً ، ولاصقلّيياً ، ولايهودياً ، أمَّا الصفة الأكثر ملاءمة له ، فهي

1 ) بارلت ، التراث ألإسلامي في الأدب الأسباني ،ج1 ، ص765 .

أنْ ندعوه أندلسياً أو أسبانيا»[1] ، وما ترتب على ذلك الإسهام من قِبل المرأة الأسبانية ، أنْ تبنَّى المستشرق الأسباني خوليان ريبيرا «فكرة الأصل الأسباني لمسلمي أسبانيا ، محاولاً إثباتها من الوجهة العلمية ، إذْ يرى أنَّ العربَ الفاتحين مُنذ عهد طارق نزلوا الأندلس جنوداً من دون أُسر ، وقد تزوجوا من الأسبانيات جيلاً فجيلاً ، حتى ذابوا في الجنس الأسباني ، ولم يعد للواحد منهم سوى قطرات ضئيلة من الدم العربي ، كادت أنْ تتلاشى كنقطة في زجاجة !»[2] .

ويضربُ مثلاً على ذلك من خلال اخذه أنموذج لإحدى العوائل العربية ، وهي الأسرة الأموية ، على الرغم من تأخرهم في دخول أسبانيا ، قياساً إلى الفاتحين الأوائل ، فيقول : «أن عبد الرحمن الداخل ، كان يحملُ نصفَ دم عربي فقط ، لأنَّ أُمُه كانت غير عربية ، وكذلك إبنُهُ هشام ، لا يحمل إلا ربعَ دمٍ عربيٍ لأنَّ أُمه كانت إيضاً غير عربية ، وهكذا تتناقص نسبة الدم العربي ، كلّماً مضيِنا من أمير إلى آخر ، بينما تتضاعف نسبة الدم الأجنبي ، فالحكم إبن هشام ليس له من الدم العربي إلا الثُمن ، وعبد الرحمن الاوسط ليس له إلا جزء من ستة عشر جزءاً ، والاميرُ محمد ليس له إلا جزء من إثنين وثلاثين ، والمنذر بن مُحمَّد ليس له إلا جزء من أربعة وستين»[3] .

وقد إختار ريبيرا هذه العائلة لكَثرة زواجهم مِن الأسبان ، بحسب رواية إبن حَزم (ت 456هـ/ 1064م) ، الذي يقول فيها : «وأمَّا جماعة بني مروان – رحمهم الله– ولاسيما ولِد الناصر منهم ، فكلُّهم مجبولون على تفضيل الشُقرة ، لا يختلف في ذلك منهم مختلف ، وقد رايناهم ورأينا من رآهم ، من لدن دولة الناصر إلى الآن ، فما منهم إلا أشقر ، نزَّاعاً إلى أُمهاتهم ، حتى صار ذلك فيهم

---

1) بيرس ، هنري ، الشعر الاندلس في عصر الطوائف ، ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسة وقيمته التوثيقية ، ترجمة ، الطاهر احمد مكي ، دار المعارف ، ( القاهرة ، 1988م) ، ص255 .

2) البيومي ، محمد رجب ، الادب الاندلسي بين التأثُر والتأثير ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ( بلا ب ، 2008م) ، ص253 .

3) هيكل ، احمد ، الادب الأندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1979م) ، ص35–36 .

خلقة ، حاشى سليمان الظافر- رحمه الله- فإنِّي رأيته اسودَ اللِمَّة[*] واللِحية»[1] ولايُخفى ما كان عليه سلاطين غرناطة من الصفات نفسها ، إذْ كانت الوان بشرتهم تميل إلى الشُقرة ، كذلك لون الشعر الأحمر الذي ميزهم ، حتى سُمِّي أحدُ سلاطينهم بالبرميخو Bermejo (761- 763هـ/ 1360-1362م) ، وهي كلمةٌ أسبانيةٌ ، تُشيرُ إلى شُقرةِ وجهِهِ ولونِ شعرِه الضارب إلى الأحمر[2] .

هذا وقد أيَّد هذه الفكرة ، الطاهر أحمد مكِّي ، في دراسته المقارَنة حولَ ملحمةَ السيد ، إذ رأى أنَّ مِنَ الخطأ القول بأنَّ : "الصراعَ الذي دارَ على بطحاء الأندلس كان بين العرب الأسبان ، وهو زَعمٌ بعيدٌ عن الحقيقةِ ، إذْ لم تكن ثمة قومية عربية ، ولم يكن المرء ينتمي إلى العرب كجنس ، ولعل هناك من كان ينتمي إلى قبيلة ، وليس إلى قوم لهم خصائص وصفات . ولم تكن القومية الأسبانية قد وُجِدتْ ، وكلمة أسبانيا لم تُعرف بمعنى دولة إلا في زمنٍ متأخرٍ جداً ، ربما في أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، وأمَّا قَبلِه ، فكانت تعني امتداداً جغرافياً ، ومكاناً محدداً على الارض . . . ولم يكن سكانُ الأندلس عرباً بالدم ، وإنَّما كانوا خليطاً عجيباً لا يمثّلُ العربَ في داخله إلا اليسيرُ ، أمَّا الكَثرة الغالبَة فكانت تنتمي إلى اقوام أُخرى ، من قوط ولاتين وفينيقيين ، أو مِنْ بَربَر وأفارقة وصقالبة . . . وإنَّ الصراع على امتداد القرون التسعة ، وحتى أزيد قليلاً ،

1) أبو محمد علي بن احمد بن سعيد ، (ت456هـ/ 1064م) ، طوق الحمامة في الالفة والالاف ، تحقيق ، الطاهر احمد مكي ، ط3 ، دار المعارف ، (القاهرة ، 1980م) ، ص48 .

2) التويجري ، نورة بنت محمد بن عبد العزيز ، الصراع بين ابناء يوسف الأول وأثره في إضعاف مملكة غرناطة ، مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المُحكَمة ، ع15 ، السنة العاشرة ، (المملكة العربية السعودية ،1997) ، ص290 .

*) اللمِّة :- شعر الرأس إذْ كان فوق الوفرة ، ينظر ، إبن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (ت 711هـ/ 1311م) ، لسان العرب ، تحقيق ، يوسف خياط ، دار لسان العرب ، (بيروت ، بلا .ت ) ، مادة لِمّة .

لم يكن بين العرب والأسبان ، وإنَّما كان بين الأندلسيين المسلمين والأندلسيين المسيحيين"[1] .

ويتسأل باحثٌ آخر – بعد أنْ يَجزم بـ (تأسبن) عرب الأندلس "عما إذا كانت الشخصية العربية استطاعت أنْ تحافظَ على أصالتها فوق أرض اوربية ، ذابت في الحضارة المسيحية السابقة على ألإسلام"[2] .

---

1) ملحمة السيد ، ص 10–11 .

2) بوتشيش ، إبراهيم القادري ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة ، ( بيروت ، 1998م) ، ص113 .

## المبحث الثاني

## أهمُّ قنوات وأساليب التفاعل الحضاري بين الأندلسيين والأسبان

كان إتصال العرب المسلمين بجيرانهم الاوروبين ، قدْ تمَّ عَبر طرائق عدَّة ، عَبَرَت فيها المؤثراتُ الحضاريةُ إلى أوروبا ، وأصبحت بذلك تدين للعرب في نهضتها فيما بعد . فكانت قنوات الإتصال بينهما تأتي على طرائق ثلاث رئيسة :

**اولا :- صِقلية:**

عمل العرب بعد فتح صقيلة على استغلال خيراتها ومواردها ، من أجل إنعاش إقتصاد الجزيرة ، وقدْ مهّدوا بذلك لإقامة علاقات طيبة مع سكانها ، لاسيما أنْ المسلمين لم يمسّوا أو يحتقروا عـادات أهل الجزيرة وتقاليدهم ومعتقداتهم الدينية ، وكانت تلك الخطوة كفيلة بنشر مبادئ الحضارة العربية ألإسلامية ، بعد أنْ عرفَ سكان صقلية صورَ من التسامح الديني عند العرب ، لم يعهدوه من قَبل . وبذلك إنتشرت الثقافة العربية ألإسلامية من دون عناءٍ فيها ، وهذا ما أكدَهُ لنا التاريخ من خلال نقل صور الحياة اليومية لسكانها وملوكها ، بعد سقوطها بيد النورمانديون . وكان الملك روجه (506–548 هـ/ 113–1154 م) من أشد المُعجبين بالحضارة العربية ألإسلامية ، تبيَّن ذلك من خلال مواقفه من المسلمين ، فقد إستفاد منهم ، إذْ كان في جيشه عددٌ من المسلمين ، وكان منهم فلاسفة واطباء ، وعُدَّ بلاطُه بلاطَ ملكٍ شرقي ، وكان الكثيرُ من موظفيه مسلمين ، وكان روجر الثاني يلبس ملابس المسلمين ، ويطرّز رداءَه بحروفٍ عربية ، حتى أنَّ خصومه وصفوه بأنَّه نِصفُ وثنيٍّ ، يعنون نصفَ مسلم ! وجرى حفيده وليم الثاني على نهج أسلافه ، وبنى روجر الثاني كنيسة في باليرمو ، زخرف سقفها بنقوش كوفية . وكانت النساء النصرانيات يلبسن الملابس ألإسلامية ، وقد أسهمت صقلية بحظ وافر في نقلِ العلوم الشرقية إلى الغرب ، وكانت مركز ترجمة نشيط ، كانتً ملتقىً أجناسَ ولغات ، بحكم موقعها وتاريخها ، وسادت

فيها اللغات الحية إذْ ذاك ، واسعة الإنتشار ، اليونانية واللاتينية والعربية .[1]

**ثانيا :- الحروب الصليبية.**

تعد الحروب الدينية بين المسلمين والنصارى التي اطلق عليها الحروب الصليبية ، بدعوى أنَّها موجهة لإنقاذ الدين المقدَّس من المسلمين ، قناة رئيسة للإحتكاك والإمتزاج والأخذ والعطاء بين الثقافتين ألإسلامية والمسيحية . وكانت بلاد الشام وما إرتبط بمسرحها من حروب صليبية ذات أثر فعَّال في هذا الميدان ، فقد صحب الحروب الصليبية بعض الأنشطة الفكرية والحضارية ، وكان بعضُ طلاب العلم الاوروبيون يفدون في تلك الحملات إلى الشام ، لدراسة الطب في مدرسة طرابلس ، وكانوا يبدأون دراستهم بعد تعلمهم اللغة العربية وإتقانها[2] . وإحدى نتائج الحروب الصليبية ، هي الإهتمام بدراسة اللغات الشرقية ، إذْ كان رامون لول[*] أولَ من حاول أنْ يجعل الدراسات الشرقية أداةَ حرب "صليبية" تستعمل فيها – في نظره – أسلحةٌ روحيةٌ لا غير ، وأنشأ لذلك معهداً رهبانياً لدراسة اللغة العربية ، في مدينة ميرمار ، سنة( 674 هـ/ 1276م) ، وفي عام (710 هـ/ 1311م) قرر مجلسُ فينّا وبإيعاز من ريمون لول نفسه ، أنْ يُنشىء كراسياً استاذيةً لدراسةِ اللغات الشرقية في جامعات باريس ولوقان وسلامنكا[3] .

وقد عَدَّ بعضُ المؤرخين الألمانيين والفرنسيين الحروبَ الصليبية العامل الأكبر في تطور اوروبا في عصور النهضة ، يقول غوستاف لوبون :" إذا نظرنا إلى النتائج البعيدة التي اسفرت عنها الحروب الصليبية ، تجلّتْ لنا أهميةُ تلك النتائج التي كان بعضُها نافعاً وبعضها ضاراً ، وإنْ رجحت كفَّةُ النافع منها ، فقد

---

1) ينظر الدوري ، تقي عارف ، دراسات في تاريخ العرب وحضارتهم في صقلية ، منشورات جامعة ناصر الخمس ،(ليبيا ، 1997م) ، ص135–151 ؛ عزيز احمد ، تاريخ صقلية ألإسلامية ، ترجمة ، امين توفيق ، الدار العربية للكتاب ، ( ليبيا ، 1980م) ، ص101– 102 .

2) تدمري ، عمر عبد السلام ، الحياة الثقافية في طرابلس والشام خلال العصور الوسطى ، دار فلسطين للتأليف والترجمة ، ( بيروت ، 1973م) ، ص69 .

3) عـزوزي ، حسن ، اسهام الجامعات ألإسلامية في الحضارة الانسانية ، منشورات المنظمة ألإسلامية للتربية والعلوم الثقافية ، ايسيسكو ،( بلا ب ، 2010م) ، ص55 .

*) سياتي التعريف به في الفصول القادمة مفصلاً .

كان اتصال الغرب بالشرق مدَّة قرنين من أقوى العوامل على نمو الحضارة في اوروبا ، وتكون الحروب الصليبية قدْ أدَّتْ بذلك إلى نتائج غير التي نشدتها"[1] .

**ثالثاً:- الأندلس.**

تعد الأندلس أهم المعابر الثقافية إلى اوروبا ، واطولها عهداً ، فقد بقيت تحت حكم المسلمين ما يقارب ثمانية قرون ، كانت بمثابة المشعل المتَّقد حضارةً ، يشِّعُ على ظلمات اوروبا في تلك الأزمان الغابرة ، بالنسبة للأوروبيين "ففي الوقت الذي كانت فيه اوروبا لاتزال تضطرب في ظلام العصور الوسطى ، كان المسلمون قد بسطوا نفوذهم على معظم بقاع العالم وورثوا علم اليونان ، وأفادوا من ثقافة الفرس والهند ، والحضارة المصرية القديمة ، إلى جانب الثقافة العربية الأصلية ، وأفسحوا صدورهم لهذه الثقافات والحضارات المختلفة ، واقبلوا عليها وتولوها بالرعاية والعناية والبحث والدرس والتصحيح والتهذيب ، حتى بلغت غاية نضجها واكمالها ، وتميزت عمَّا عداها من الحضارات السابقة"[2] .

وقد "شهدتْ الأندلس الواناً مختلفةً من التيارات الأجنبية ، تركتْ تأثيرها عليها بدرجات متفاوتة ، إلا أنَّ الإتصال بالأسبان كان تأثيره أشدّ وأعمق ، إذْ لم تكن العلاقة بين الأندلسيين والأسبان عابرةً ، وإنَّما تعدَّت إلى الإتصال المباشر بين الجانبين ، مما يترتب على ذلك شيوع الكثير من عادات الأسبان وتقاليدهم الإجتماعية في الأندلس"[3] .

ولقد كانت الظروف موآتية للأندلسيين والأسبان للإلتقاء والتواصل الحضاري ، عَبر قنوات الإتصال ، ما عزّ نظيرُهُ في الكثيرِ من الحالات المماثلة ، وكان من أهم هذه القنوات ، ألآتي :

---

1) حضارة العرب ، ترجمة ، محمد عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، (القاهرة ، 1945) ، ص334 .

2) عُبية ، الحضارة ألإسلامية ، ج2 ، ص953 .

3) الدسوقي ، نوال ، التأثير الأسباني في المجتمع الأندلسي وصورته في الأدب ، رسالة ماجستير ، (غير منشورة) ، الجامعة الاردنية ، كلية الدراسات العليا ، 1996م ، ص6 .

**1 - النصارى المستعربون Los Mozarabes .**

المستعربون : «وهم نصارى الأسبان الذين كانوا يعاشرون المسلمين ، ويتكلمون العربية ، مع إحتفاظهم بدينيهم . وكان العرب يسمونهم بعَجَم الذِمة ، أمَّا من كان لهم عهداً منهم ، فقد سُمُّوا بالمُعَاهِدين»[1] .

«وكلمةMozarabe " المستعملة ، والمشتقّة من كلمة مُستعرب بالعربية ، ومعناها الذي يَزعُم أنَّه عربيٌ ، وليس بذلك ، رغم أنَّ بعض المختصين بالدراسات العربية يعتقدون أنَّ أصلها يعود إلى كلمة مُسْتَعْرَبَة التي كانت تُستعمل لوصف القبائل التي لاينحدر أصلها من العرب"[2] .

ويُعدُ هؤلاء من أهم العناصر التي عَملتْ على نَقل الحضارة العربية إلى أسبانيا ، فقد كانوا – وبحكم عملهم – يمارسون أشغالاً عَلمية وعملية مختلفة ، ربما أهَّلتْ بعضَهم إلى أنْ يصبحوا من ذوي النفوذ ، وكانوا يتنقلون بين الأقاليم ألإسلامية المسيحية ، وقد هاجرَ عددٌ غير قليل منهم ، إلى الامارات المسيحية في فترات تقوية الوجود ألإسلامي في الأندلس .[3]

وقد وصفَ البارو القرطبي Alvaro de Cordoba ، وهو رجلُ كنيسةٍ ، اقبالَ بني جلدتِه ، من هؤلاء ، على النهم من الحضارة ألإسلامية ولغتها العربية ، وطريقة عيشهم ، وذلك في وثيقةٍ مؤَرخةٍ عام( 240 هـ / 854 م) ، وهو تاريخ سابق لفترة دراستنا ، إلا أنَّنا نذكرها هنا ، لمعرفة ما وصلت إليه حال المستعربين بعد هذا التاريخ ، وتحديداً في سلطنة غرناطة ، ومدى إندماجهم بالمجتمع الأندلسي فيقول :

" إن إخوتي في الدين وأبناء رعيتي يتذوقون الأشعار والروايات العربية

---

1) السالم ، عبد العزيز ، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، مطابع شباب الجامعة ، ( الاسكندرية ، 1961م) ، ص130 .

2) دي إيبالزا ، ميكيل ، المستعربون أقلية مسيحية مهمة في الاندلس المسلمة ، ترجمة ، يعقوب دواني ، بحث منشور في كتاب الحضارة العربية ألإسلامية ، تحرير ، سلمى الجيوسي ، ج1 ، ص234 .

3) هونكة ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة ، فاروق بيضون ، المكتبة التجارية ، ( بيروت ، 1965م) ، ص534 .

ويتعمقون في دراسة الفلاسفة المسلمين . وليت انصرافهم هذا يؤدي إلى مساعدتهم على دحض المذاهب الإسلامية أو الرد عليها ، بل على العكس لكي يتمكنوا من هذه اللغة ومن آدابها وليجيدوا استعمالها أحسن فأحسن... أين نجد الآن علمانياً واحداً نصرانياً يقرأ الأناجيل أو حياة القديسين وأعمال الرسل والأنبياء؟ آه ويا للأسف ! إن الشباب المسيحي الذي تميز بذكائه وعبقريته لا يجد اللذة والمتعة الروحية إلا في قراءة الكتب العربية وآدابها وينفقون الأموال الطائلة على شراء هذه الكتب وتشكيل مكتبات ضخمة ، وينادون على رؤوس الأشهاد : أن لا آداب توازي الآداب العربية... كلموهم عن الكتب المسيحية يجيبوكم بازدراء »إنها لا تستحق الانتباه . . . « آه ما أتعسنا !إن المسيحيين منا قد نسوا لغتهم ، وبين ألف شخص منهم لا يوجد واحد يحسن كتابة رسالة إلى صديقه باللغة اللاتينية ، ولكن إذا طلبته للكتابة باللغة العربية أجاد كل الإجادة بحيث أن الكثيرين من إخواننا في الدين يحسنون اللغة العربية أفضل من العرب أنفسهم"[1] . حتى بلغ من ذوبانهم في حبِّ الحياة العربية ، وتأثرهم بالثقافة العربية السائدة ، أنْ أصبحَ «من المُعتاد أنْ يكون للنصراني إسمان ، عربي ، واسباني ، وفي الوقت نفسه اضمحلت اللغة اللاتينية ، ولم يلبث أنْ تُرجم الكتاب المقدّس إلى اللغة العربية»[2] .

وقد كَفَلت الدولةُ ألإسلامية لهم حريةَ المُعتقد ، فأبقتْ لهم كنائسهم واديرتهم وطقوسهم الدينية ، كما كان لهم رئيس يدعى القومس Gomez ، وقاضي يقضي بينهم على وفق تعاليم دينهم المسيحي ، ويُعرَفُ بقاضي العجم أو النصارى[3] ،وأحياناً يُدعى قمط وهو الكونت ، وكانوا يُختارون بالإنتخاب فيما بينهم ، ما عدا القومس الأعلى ، ومستقرة في قرطبة ، فكانت الدولة تعيِّنه في منصبه ، وكان مسؤولاً عن مواطنيه ، وعلاقتهم بالحكام العرب ، وإلى جانب القوامس ، كان هناك موظفون آخرون ، أبرزهم قاضي اهل الذمة ، Iudex أو

---

1) بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ص485 .
2) كُحيلة ، عُبادة ، القطوف الدواني في التاريخ الأسباني ، بلا ن ، (القاهرة ، 1989) ، ص72 .
3) العبادي ، احمد مختار ، ألإسلام في أرض الأندلس اثر البيئة الاوربية ، مجلة عالم المعرفة ، مج 10 ، ع2 ، ( الكويت ، 1979م) ، ص344 .

Alcalde ، يقضي بين النصارى على وفق شرائعهم ،أمّا في القضايا التي يتخاصم فيها المسلمون والنصارى ، فكان قاضي المسلمين هو الذي يقضي بينهم[1] .

وقد أدى المستعربون دوراً مهمّاً في نشر الحضارة ألإسلامية في أسبانيا النصرانية واوروبا ، لإتقانهم العربية واللاتينية الحديثة ، واسلمت أسرٌ أسبانية وتفانت في خدمة الدولة العربية ألإسلامية ، وكان من أثر تشبعهم بالحضارة العربية ألإسلامية ، أنْ بنو كنائسهم على النمط المعماري ألإسلامي ، في قشتالة ونافار وليون[2] .

وقد كانت الأندلس تعجُّ بساكنيها من كلِ جنس ولونٍ ولسانٍ ، وهي تغدو وتروح إلى السوق والحمامات ، أو إلى المسجد والكنيسةً والكنيس ، الاساقفة والقس والرهبان والنصارى ، بأزيائهم وعلاماتهم المميزة والدالة على درجاتهم ، كما كانت الحال في زمن القوط الغربيين ، والمستعربون من غير الدينيين بحللهم الخاصة ، ونساؤهم متشحات ، ولكن من دون نقاب يغطي أوجههن كالمسلمات ، وبمرور الوقت راح النصارى يرتدون ملابس المسلمين ، أي أنَّه حصل شيئٌ تمثّل في المظهر الخارجي ، وفي اللغة ايضاً ، ذلك أنَّ المستعربين كانوا يتحدثون بالعربية في المحافل العامة غالباً ، في حين كان العرب يفهمون اللغة الرومانسية بدرجة كافية ، لاسيما أفراد الطبقات العليا منهم[3] ، بل أنَّهم – أي المستعربون– كانوا يفضلون استعمال العربية على اللاتينية ، لأنَّ هذه الاخيرة كانت لغة جافة صعبة الكتابة اذا ما قِيستْ بالعربية[4] .

وكان هناك أُناسٌ من « المستعربين من كانت لهم رغبة في التعريف بتراثهم الديني– لغاية من الغايات لم تكن واضحة في هذه الفترة – لدى أصحاب هذه الحضارة الجديدة ، وذلك بنقل هذا التراث من اللاتينية إلى العربية ، وخيرُ

1) كُحيلة ، القطوف الدواني ، ص71 .
2) عبد البديع ، لطفي ، ألإسلام في أسبانيا ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ،( القاهرة ،1969م) ، ص30 .
3) مارغريتا ، لوبيز غوميز ، المستعربون نقلة الحضارة ألإسلامية في الاندلس ، ترجمة ، د . اكرم ذو النون ، نُشِر ضمن كتاب الحضارة العربية ألإسلامية في الاندلس ، تحرير ، سلمى الجيوسي ، ج1 ، ص270 .
4) ترند ، أسبانيا والبرتغال ، ج1 ، ص16 .

وكذلك المقري بمعرض حديثة عن غزو النصارى لمرج غرناطة ، بمساعدة المدجنين ، إذْ يقول :

«وصل العدو إلى المَرَج ومعه المرتدون والمدجنون»[1] ، وهذا يدلُّ على معرفة المؤرخين العرب الأندلسيين بهذا المصطلح . ومثلما حفظ ألإسلام والقرآن الكريم حقوق أهل الذِمةِ من يهود ونصارى في المجتمع ألإسلامي ، حُفظتْ ولو لبعض الوقت معاهدات السلام ، التي تنازل فيها المُدجن عن أرضِه ، أو يكون نتيجةً لبعض البنود في القوانين المسيحية أو القوانين المحلية لحقوق المدجنين[2] ، وكان يُخَصَص لهم حيٌ خاصٌ بهم ، في كلِ مدينةٍ تُسترجعُ من قِبل الأسبان ، لإقامتهم ، ويفصل بينه وبين أحياء النصارىَ سورٌ ضخم[3] ، كما كان لكلِ جماعةٍ محليةٍ رئيسٌ مسلمٌ يُعيّنه الملك ، وفي مقابل امتيازاتهم ، كانوا يدفعونَ ضريبةً على الرؤوس ، أو جزية[4] . وقد عُوملوا بقدرٍ من التسامح في أسبانيا النصرانية ، فسُمح لهم بالإحتفَاض بدينهم ، ومساجدهمً – عدا المسجد الجامع – ومدارسهم ، ولمٍ تُفرض عليهم ضرائب ، سوى التي كان يدفعوها لحكامهم المسلمين ، فضلاً عن الجزية ، واحتفضوا بحقهم في بيع وشراء العَقارات ، كما احتفضوا بحقهم في حمل السلاح ، وأُجيزت لهم الخدمة في الجيش ، وحارب الكثيرُ منهم إلى جانب النصارى ، ضد أخوانهم المسلمين ، وكان لهم الأثر الفادح على الأندلس ، لمعرفة هؤلاء بها أكثر من غيرهم ، ثم أنَّ بعضهم قد تزوج من النصارى ، الأمر الذي أفقد هؤلاء دينهم ولغتهم وخصائصهم القومية بمرور الوقت ، وكانت الكنيسة تحاول أنْ تُؤلب الملوك الأسبان عليهم ، وتحذرهم منهم ، لكنَّ الملوك كانوا يتغاضون عن مساعي الكنيسة ، لأسباب تتصل بمصالحهم ومصالح بلادهم ، لأَنَّهم كانوا أفضل من رعاياهم وأنشطهم وأوفرهم أداءً للأموال ، وكانوا مبرَّزين في الطب

1) نفح الطيب ، ج2 ، ص55 .
2) هارفي ، المدجنون ، ج2 ، ص288 .
3) عنان ، دولة ألإسلام ، ج7 ، ص57 .
4) وات ، مونتغمري ، في تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ترجمة ، رضا المصري ، ط2 ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ( بيروت ، 1998م ) ، ص160 .

المعاني ، لأنَّ سُلطان تاج أراغون يمتد إلى كل مسلم يعيش في ظلِّ حُكمة[1] ، ولا يعني ذلك التسامح من قبل ملوك الأسبان عَدمَ وجُود مضايقات للمدجنيين ، بل كانت هناك ضغوطات من أجل ترك هؤلاء دينَهم وشعارئهم ألإسلامية ، ففي عهد مارتن ملك ارغونة [797هـ812-هـ/ 1395 - 1410م] ، صدرت قوانينُ تحدُّ من حركة المدجنين ، وتمنعهم من إظهار شعائرهم ، ومنها الأذان للصلاة ، ومنعهم كذلك من إستقلالهم القضائي»[2] .

**ج :- مُدجنو بَلنسية Valancia .**

اختلف مُدجنو بَلنسية من حيث الكَثرة عن غيرهم من مُدجني البلاد الأُخرى ، فهم ذَوو أغلبية من حيث عدد السكان ، إذا ما قِيسوا بالنصارى الأسبان ، ويَرجع ذلك إلى «أنَّ المسيحين غير راغبين في النزوح إلى هذا المحيط القريب ، وهكذا بقيَّ مجتمع المسلمين على حاله - تقريباً- في بَلنسية لمدة اطول بكثير مما في غيرها . . . إنَّ بقاءَ الكثير من ماضي المسلمين في بَلنسيةً لا يعني أنَّ حضارة ألإسلام قد بقيت على حالها من دون تغيير . فلو نَظَرَ المرءُ في نص عربي بلنسي واحد ، لوجد ظاهرةً غريبةً في لغة لا شكَ في أنَّها عربية ، ولكن ًيتشربهًا على مستويات لغوية عدَّة ، ما دخل عليها من لغة الغالبين الرومانس . وقد بقيت العربية لغة حيَّة ، ولكنها لم تَنج من التغيُّر ، وقد بقيت كذلك مؤسسات ومنظمات اجتماعية ، إذْ يبدو أنَّ بلنسية قد حفظت كثيراً من مظاهر الدلالة ألإسلامية «[3] ، ومرَّت الجالية المسلمة بظروف مختلف عن ظروف أُخوانهم في البلاد المسيحية الأُخرى . إذْ حدثت اضطرابات كان المدجنون هم الضحايا في غالبها ، على الرغم من الحماية الملكية لهم ، فضلا عن حماية أسيادهم لهم ، وحدثت هذه الإضطرابات بين عامي (674هـ/ 1276م) و (689هـ/ 1291م) ، في أماكن مثل بلنسية وشاطبة(*) . . . واستمرت تلك الإضطرابات إلى القرن

1) Baswell، John، the Rakal Treasure، Muslim Communities under the crown of Araqon in the fourteen Century، CT: Yale University Press، (New Haven، 1977)، P. 30

2) كحيلة ، القُطوف الدَواني ، ص 216 .

3) هارفي ، المدجنون ، ج1 ، ص 293 .

*) شاطبة :- مدينة في الأندلس ، تمتاز بكثرة خيراتها ، وهي مدينة حصينة ، اشتهرت بصناعة الورق المسمى الكاغد . ينظر ترجمتها ، الحميري ، الروض المعطار ، ص337 .

بين الحضارة ألإسلامية الزاهرة في الاندلس ، وبين أسبانيا النصرانية المُتخلفة ، وكان لهم تأثير كبير في الحياة هناك ، مُنذ نهاية القرن الثالث الهجري [التاسع الميلادي] ، عندما استولى الفونسو الثالث على المدن الاسلامية التي تقع شمال وادي دويرة ، وكانوا يؤلفون اليد العاملة فيها . وإزداد نشاطُهم ، ولا سيما في القرن الخامس الهجري [الحادي عشر الميلادي] ، ووفد على علمائهم – وخاصة في طليطلة – طلاب العلم من إنحاء أسبانيا واوروبا ، لينهلوا من الثقافة ألإسلامية التي تُرجمت إلى اللاتينية ، وما تفرَّع عنها من اللهجات الأسبانية»[1] ، وصولاً إلى القرن الثامن الهجري/ القرن الرابع عشر ، إذْ كان «من القرون الخصبة في حياة المُدجنين ، الثقافية والأدبية ، وتَحتفظ مكتبةُ دَير الأسكُوريال بعدد من المخطوطات ، التي كُتبت في طليطلة واشبيلية ووداي الحجارة وقرطبة ، وغيرها ، يَرجع اقدمها عهداً إلى سنة [693هـ]/ 1294 ، وأحدثها إلى سنة [869هـ] 1465م ، ومعظم هذه الكتب في الطب والعلوم ، ومن أهمها كتابان : أحدهما ، في الطب بالعربية . . . ومؤلفة يهوديٌ كان طبيباً لدون فرناندو المعروف بـ Don ferando eL Emplazado ، والآخر ، كتاب لأبي عبد الله محمد ، وقد خالف فيه بطلميوس في بعض ما ذهب اليه ، وفي هذه بالذات نَقل

دون خوان مانويل[ ت749هـ/ 1348م[*] في كتبه كثيراً من الآثار والاخبار الـواردة في الكتب العربية التي كانت وقتئذ في مرسية[**] واشبيلية ، ككتاب المُسهب للحجازي وكتاب المغرب لابن سعيد»[2] .

1) عبد الحليم ، العلاقات بين الاندلس ألإسلامية وأسبانيا النصرانية ، ص417– 418 .

2) عبد البديع ، ألإسلام في أسبانيا ، ص171 .

*)دون خوان مانويل :– شرقيق الفونسو العاشر المعروف بالعالم وحفيد فرناندو الثالث ملك قشتالة 614–650هـ/ 1217–1252م ، تلقى معارف اولية عن اللاتين حسب متطلبات عصره ، توفي بقرطبة سنة 749هـ/ 1348م له عدة مؤلفات تأثرت في اغلبها باللغة العربية . ينظر ترجمة سانشيز ، مشاهير معاصرون ، ص389 ؛ ابن عبود ، محمد ، مباحث في التاريخ الاندلسي ومصادره ، منشورات عكاظ ،( الرباط ، 1989) ، ص 92–106 .

**) مرسية : مدينة اندلسية ، بناها الامير عبد الرحمن ابن الحكم ، وتقع على نهر كبير ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، فيها اسواق عامرة فواكتها رخيصة كثيرة الشجر والاعناب واصناف الثمر ، وبها معادن فضة وغيرها . ينظر ترجمتها ، الحميري ، الروض المعطار ، ص 539 .

مع أشكال نجمية مكوَّنة من ثمانية أطراف وتشبيكة صغيرة من أربعة ، التي تُعد من ابتكار الفنانين النصريين في غرناطة ، في العُقود الأولى : من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، وتراها واضحة في الدير الطليطلي سانشو ومنجو أنتجو في القرن الثامن والتاسع الهجري/ القرن الخامس عشر والسادس عشر[1] ،وغيرها ، الكثير من تلك الأمثلة [2] .

هذا نَزرٌ يسرٌ مما خلَّفه المُدجنون في أسبانيا ، وغيرُه الكثير ، سنذكره في مواضعه في الفصل الرابع مع التفصيل .

**3 - الزواج والمُصاهرة.**

بعد دخول العرب إلى الأندلس ، والإستقرار فيها ، وبعد انتهائهم من عملية الفتح الكبرى ، أخذوا يختلطون مع أهل البلاد إختلاطاً كبيراً ، لاسيما وأنَّهم قدْ دخلوا الأندلس بغير نساء ، فاضطروا إلى الزواج من أهل البلد الأصليين ، وبذلك تكون دماءُ هؤلاء الفَاتحين ، قد امتزجت بدماء الأسبان ، ونَتَجَ عن ذلك ظهورُ جيلٍ جديد هجين ، ينتسب للعرب من جهة الأَب وللاسبان من جهة الام ، وقد عُرِفً هؤلاء بالمُوَلدين .

وكان هذا الزواج أنموذجاً للتسامح الديني والحياة المشتركة بين الجانبين ، ومن أمثلته :زواج الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير (ت 97هـ/ 715م) ،بالأميرة إبلة ، المعروفة عند الاسبان بإسم Equilona ، ارملة لذريق Rodrigo ، آخر ملوك القُوط ، وقد تكنَّت بأم عاصم واقامت في اشبيلية[3] .وكذلك زواج المنصور بن

---

1) مالدونادو ، باسيليو بايون ، الفن ألإسلامي في الأندلس ، الزخرفة الهندسية ، ترجمة ، علي ابراهيم منوفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، (القاهرة ، 2002م) ، ص273–274 .

2) مالدونادو ، باسيليو بايون ، الفن ألإسلامي في الأندلس ، الزخرفة النباتية ، ترجمة ، علي ابراهيم منوفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، (القاهرة ، 2002م) .

3) ينظر إبن القوطية ، أبو بكر بن محمد بن عمر بن عبد العزيز ، ( ت 367 هـ/ 977م) ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ط2 ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، ( القاهرة ، بيروت ، 1989م) ، ص37 ؛ العبادي ، احمد مختار ، صور من التسامح الديني والتعاون المشترك بين المسلمين والمسيحين في أسبانيا في العصور الوسطى ، صحيفة المعهد المصري في مدريد ، مج 26 ،(مدريد ، 1993–1994) ، ص9 ؛ عباس ، رضا هادي ، اللقاء الحضاري في الأندلس ، مطبع الحوراء (بغداد ، 2009م) ، ص29 .

وقد لعبت هذه الزوجات والسرائر من الجواري المسيحيات الأسبانيات وغير الأسبانيات ، دوراً خطيراً في الحياة الإجتماعية والسياسية في الأندلس ، فقد كنَّ ينقلنَ أفكارَ نصارى الشَمال الأسباني ، ومَنْ تعلمتْ العربية منهنَّ كانت تنقل الأفكار والاقاصيص الاسبانية والأوروبية إلى اللغة العربية . وانقسمت البيوت العربية إلى قسمين ، قسم أولاد السراري ، وقسم من أولاد الحرائر ، والأولاد تَبعٌ لامهاتَهم ، ينقسمون بدوَرهم ويتعصبون لامهاتَهم ، وكثيراً ما دُبِّرت المؤامرات بسبب ذلك"[1] ، وكان في كثير من الأحيان أنَّ السيدةَ النصرانيةَ هي التي تُدير البيت الأندلسي ، بغض النظر عن إعتناقها الدين ألإسلامي من عدمه ، ويترتب على ذلك أنَّ الخدم والحشم والجواري والعبيد يكونون من النوع نفسه ، ولاسيما أنَّ هؤلاء النسوة البيض الجميلات ، من الشمال النصراني ، اللائي كُن يوصفنَ دائماً بأنَّهنَ جليقيات "غاليسيات" ، ولا يأنَفنَّ من العمل في قصور أمراء أو خُلفاء مُسلمي الأندلس ، بهدف الحصول على الثروة والغِنى ، ورُبما المركز السامي[2] .

وبناءً على ما تقدم ، يمكننا الإشارة إلى أنَّ هذا الزواج المتبادل بين الطرفين قد ترتبت عليه امورٌ عدَّة ، فيما يخصُّ التبادل الحضاري بينهم ، فالأم أو الزوجة الأسبانية والمسلمة كانت تنقل إرثها الحضاري إلى أبنائها وزوجها ومحيطها الضيق في بعض الأحيان ، فتنقل حياتهم الإجتماعية من ممارسات إجتماعية وتقاليد ، سواء أكانت احتفالاً بأعياد معينة ، أو ممارسة طقوس دينية أو أغاني الأطفال الشائعة في كلتا الحضارتين ، أو إستعمال لغتها في التعامل مع عائلتها ، وما يترتب على ذلك من نقل بعض الألفاظ إلى محيطها الجديد ، أو نقل –في بعض الأحيان– أزيائها التقليدية التي تحافظ عليها من بيئتها الأُم التي سوف تنقلها إلى محيطها الجديد . وذلك من خلال تأثيرها على أبنائها وعالمها سواء أكان بقصد أو بغير قصد ، وكذلك فيما يتعلق بالمعارف والعلوم المتداولة في ذلك العصر . وكل ما ينطبق على النساء من كلا الجانبين ينطبق على العنصر الآخر المكوّن لهذه الأُسرة ، ألا وهو الزوج ، فإنَّه يلعب دوراً كبيراً في نقل إرثه الحضاري إلى زوجته ، وإكتساب موروثها أو بعض ما ورثته منه ، أو العكس .

---

1) عبد الحليم ، العلاقات بين الاندلس ألإسلامية وأسبانيا النصرانية ، ص422 .
2) عبد الحليم ، العلاقات بين الأندلس ألإسلامية وأسبانيا النصرانية ، ص422 .

وهذه القصيدة تُعبِّر تعبيراً دقيقاً ، عن حالِ الاسرى لدى أسرهم ، ولاسيما العلماء منهم ، وما لاقوه من شتَّى أنواع العذاب ، وتنقل تركيز الشاعر على أهمية العلم عند الأسرى ، وكيف يرتقي به وهو في أرذل أماكن حياته ، وكيف وقف له أبناء جلدته من المدجنين لما سمعوا بفضله وعلمه ، وعند ذلك جمعوا له الأموال وأطلقوا سراحه .

ولقد إحتل الأسرى المسلمون من العلماء والفقهاء – بحسب ما تقدم – مكانةً خاصةً جداً في سوق النَخاسة الأوروبية ، فبقدر ما كانت أوروبا بها حاجةً إلى العلوم والآداب العربية ألإسلامية ، وإلى مدرسيها واستنساخ مخطوطاتها ، بقدر ما كانت ترتفع الأسعار في هذا السوق ، لتنخفض بتلك وتتوارى إمكانيات تحرير هؤلاء الأسرى لذلك رفع الأسرُ ثمنَ أسيرنا إلى مائتي أوقية[*] من ذهب المغرب بعياره الثقيل[1] ، فنرى من خلال القصيدة أنَّ قاضي الدجن قدْ دفع هذا المبلغ ليطلق سراحه وكان اللقاء في جزيرة ميورقة .

| | |
|---|---|
| أتى إلى ميـــــــورقة بأهلِـهِ | برسمِ ارضِ المسلمين بفضلِهِ |
| جاءَ إلى ضَيفي مِراراً حاوره | في خَبر الفَدية فاســــــطاد له |
| قاطعة بمائتين وخمســــــين | فلربنا كتب إلى المدجنــــيين[2] |

وإذا ما عُدنا إلى الطبقات الاجتماعية الأُخرى ،من الأسرى ، كطبقة الفلاحين الذين كثيراً ما كانوا يُخطفون من مزارعهم خارج غرناطة في حملات منتظمة عليهم من قِبل النصارى[3] ، حتى كان الفلاح لا يخرج إلا ومعه سلاحه ، يدافع به عن نفسه من تلك الهجمات[4] ، وكذلك الحرفيين وخدم الأديرة من المسلمين

1 ) بنعزوز ،الأسر في رحلة مغربية مورسكية ، ص19 .
2 ) المصدر نفسه ، ص19 .
3) Cristobal, Torres delgado, Libracion de cautivos del reino de Granada. Siglo xv,ED, Universidad de Granada,(Granada). P.P639.
4 ) **إبن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص138.**
*) الأوقِية :– تساوي اثنتي عشر درهماً ، ولقد استخدمت في الدهن بزنة عشر دراهم ، واستخدمت بزنة عشرة دراهم وثلثي وكذلك استخدمت أربعين درهما ، فاختلف عيارها زمانا ومكاناً وبالنسبة للموزون أيضاً ، ينظر ، عمارة ، محمد ، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة ألإسلامية ، دار الشروق ، ( بيروت ، 1993) ، ص75 .

وبشرى المسترجعين[1] .لقد ساعدت عملية إفتكاك الأسرى على تزويد البلدانين المسلمين بمادة غزيرة ذات أهمية بالغة عن الطرف الآخر[2] ، فكان عمل الفكَّاك يقوم على أساس مفاوضات تجري احياناً على أرض الأسبان ، مما يساعد ذلك على نقل صورة واضحة عن اخبارهم وطرقهم ومسالكهم وتحصيناتهم الدفاعية والعسكرية ، ومدى قوة وضعف اقتصادهم ، ونقل بعض المعلومات عن المعاملات التجارية .

وأمَّا الجانب المسيحي فقد ظهرت فيه مبادرات ، القصدُ منها فدية المسيحيين الذين سقطوا في الأسر عند المسلمين ، "وقد اهتمت بهذه الأنشطة منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي العديد من الجمعيات الدينية والرابطات اللائكية[*] (لاسيما الرابطات الجندية) ، التي ساهمت مراراً في عملية تبادل الأسرى والعبيد المسلمين في البلاد المسيحية ، بإخوانهم المسيحيين في البلاد ألإسلامية مع نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشرالميلادي ، تأسست بمبادرة من يوحنا المتّي من مقاطعة بروفانس Proûence ، بفرنسا جمعية الثالوثيينTrinitaires ، كانت تستهدف تحرير الأسرى وإفتدائهم . ومع بداية القرن الثامن الهجري / الرابع عشرالميلادي أسست طريقة مريم الرحيمة في برشلونة ، لنفس الغرض ايضاً[3] ، واذا ما عاد هؤلاء إلى أوطانهم ، وقد تعلم كلٌّ منهم ثقافة الآخر ولغته ، وعلومه وتقاليده الاجتماعية واسلحته وطرائق قتاله ، نشروا ما عرفوه من تلك المعارف بين ابناء قومهم «وفي الأندلس كان أسرى النصارى الأسبان يتحولون إلى موالي وعبيد اذا لم يجدوا من يحررهم ، أو لم يعتنقوا ألإسلام ، وكانوا يخدمون في القصور . . .أمَّا الرقيق من النساء فكن

---

1) ابن الزبير ، ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن الزبير ، (ت 708هـ/ 1308م) ، كتاب صلة الصلة ، تحقيق ، عبد السلام الهراس وسعيد اعراب ، مطبعة فضالة ، (المغرب ، 993م) ، ق3 ، ص144 .

2) الميَّاح ، عبد الرحمن رشك شنجار ، اوروبا في كتب البلدانين العرب المسلمين ، دار الشؤون الثقافية ، ( بغداد ، 2008م) ج1 ، ص17 .

3) C.E, Dufourcq, Lovie quotidienne dans les Prots méditerranéens au moyen àqe. Provence, Lanque doc, cataloqne. (Paris ,1975 ) P.P.136

*) اللائكية :- أو العلمانية هي فصل الدين عن الدولة ، وكذلك عدم تدخل الدولة في الشؤون الدينية ، ينظر ترجمتها موقع لمعرفةWWW.marefa.org

وبلغت حركةُ الترجمة الذروةَ في طليطلة ، بواسطة مدرستها الشهيرة ، التي أسسها ريموندو مارتيني R. Martini (*) ت645هـ / 1248م .

**ففي المرحلة الأُولى** : من تأسيسها ، ظهرت الترجمات الطليطلية الاولى ، وهي الترجمات التي قام بها اليهودي إبن داود المعروف بيحيى الاشبيلي .

**أمَّـا المرحلة الثانية** : فتبدأ بمجيء الايطالي جيرارد الكريموني (ت 583هـ/ 1187م) ،إلى طليطلة ،ويعد من أشهر المترجمين في هذه المدرسة ،فقد ترجم حوالي "70 " كتاباً ، من اشهرها كتاب التصريف لأبي القاسم الزهراوي ، والقانون لإبن سينا ، ساعده في ذلك مجموعة من المترجمين ، أغلبهم من أصل عربي أو من المستعربين ، ويدعى أحدهم غليبوس Gallipus ، وهو تحريف لأسم غالب . وهكذا تحولت طليطلة ومدرستها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، إلى مركز للترجمة من العربية إلى العبرية واللاتينية والنصوص ذات الاصول اليونانية او السريانية او العربية ، وفي الرياضيات والفلك والفلسفة ،[1] ولعل وجود "مجموعة من الكتب في المكتبات العامة والخاصة في طليطلة ، وقيام حركة ترجمة الكتب العربية بعد سقوط طليطلة من أكبر الأدلة على توافر أعداد هائلة من الكتب بطليطلة ، غالباً ما كانت موجودة على شكل مكتبات ، وإنْ كانت الكتب ربما جُلبت من مدن الأندلس المجاورة ، فلا بد أنْ الفكرة – للترجمة – نبعت من طليطلة ومن كتبها الموجودة فيها أولاً"[2] وهذا الرأي هو رأيٌ راجحٌ في تفسير نشوء هذه المدرسة ، وذلك بعد أنْ

1) اليوت ،ج .هـ ، مسالة التعايش بين أهل الديانات في التجربة الاندلسية ، مجلة التسامح ، مؤسسة عمان للصحافة ، ع26 ، السنة السابعة ، (عمان ، 2009 م ) ، ص60 .

2) السلمي ، ابراهيم بن عطية الله بن هلال ، تاريخ مدينة طليطلة ، في العصر ألإسلامي دراسة تاريخية حضارية 92هـ-478هـ ، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات ألإسلامية ،(المملكة العربية السعودية ، 2009 م ) ، ص168 .

*) ريموندو مارتيني : لاهوتي ومبشر ومستشرق اسباني ، ولد سنة(627هـ/ 1230م) ، في سويرتس في اقليم قطالونيا شمال شرقي أسبانيا ، اختاره رؤساؤه لدراسة اللغات الشرقية للتمكن من التبشير والرد على المسلمين ، وذهب إلى تونس وانشا مدرسة لتعليم المبشرين . اهم مؤلفاته هو خنجر الإيمان في صدور المسلمين واليهود ، قام بالرد على كتب الغزالي لاسيما كتابه المنقذ من الظلال . ينظر ترجمة بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ص309-310

تقيدها في الجملة بالنص العربي ، اسلوباً وتركيباً ، وإذا عُدم المصطلح الفني أخذ المصطلح العربي ، فترجم بنات نعش Bénénaz ، والمدارات بـ ALmudarat والزيج EZeig[1] .

وقد لعب اليهود دوراً مميزاً في عملية الترجمة " حيث كانوا أكثر القائمين بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية والاسبانية ، بحيث انه بواسطتهم انتشرت بعض علوم العرب في أوروبا في العصور الوسطى ، ولاسيما في مدينة طليطلة ، التي كانت واسطة التعاون بين الشرق والغرب"[2] .

"واشتهر ال تبون في القرنين السادس والسابع الهجري/ الثاني عشر والثالث عشر الميلادي في الترجمة إلى العبرية ، ومنهم يهوذا بن شاول بن تيون المتوفي سنة(586هـ / 1190م) ، الذي قام بنقل كتاب ( اصلاح الاخلاص) لإبن جابيرول ، وكالوا يلموس بن كالو تيموس ، الذي نقل كتباً للفارابي منها (احصاء العلوم) وخوان بن داود اليهودي ، الذي قام بترجمة كتاب " النفس" لإبن سينا إلى اللغة الاسبانية الدارجة"[3]

وقام موسى تربوني في سنة( 749هـ/ 1349م) ، بترجمة قصة حيٍّ بن يقضان إلى العبرية ، وهي ترجمة في الأندلس ما زالت مخطوطة[4] ، وغيرها الكثير من الكتب التي ترجمها اليهود في الأندلس ، وهكذا " إعتبروا أنفسهم كالعرب في تمثيل الثقافة العربية وإتقانها ، الأمر الذي ساعدهم على أنْ يكونوا عاملاً هاماً من عوامل نشر الثقافة العربية ألإسلامية في الغرب الأوروبي ، ذلك لأنهم كانوا يرون في ذلك منفعتهم وعظمتهم ، لأن الثقافة العربية كانت أرقى ثقافات العالم في العصور الوسطى . وقد نشروها بأنفسهم عن طريق اتصالهم المباشر بمسيحي الغرب ، أو من خلال كتبهم التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية – كما نشروها أيضا بتزويد الغرب بالكتب والمصادر العربية ألإسلامية ، وبإسهامهم

---

1) شيخة ، دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية ، ص55 .
2) زعرور ، اليهود في المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى ، ص126 .
3) زعرور ، اليهود في المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى ، ص126 .
4) القلماوي ، سهير ومكي ، محمود علي ، أثر العرب والإسلام في النهضة الأوربية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ( مصر ، 1970م ) ، ص89 .

الإتفاقيات من أجل سنِّ قانونٍ مشتركٍ يضمن حرية التجارة . ففي عهد السلطان محمد الفقيه( 671هـ - 1272م/ 701هـ - 1301م) ، جرى الإتفاق على معاهدة صلح مع مملكة أراغون ، في عهد ملكها جيمس الثاني ، وذلك في (11 رجب سنة 695هـ/ 15 أيار 1296م)[1] ، وكان الفريقان فيها قد إتفقا على نقاط عدَّة ، أهمها في يتعلق بالجانب الاقتصادي ، وهي :

1 - أنْ يدخل الأهالي والتجَّار من كلا البلدين ، برَّاً وبحراً للبيع والشراء وحمل كلِ شيٍ من دون اعتراض عليهم ، لا في أجسامهم ولا في أموالهم ولا في تجَارتهِم ولا في كل ما يخرجونه من ذلك البلد .

2 - تخصيص فندق لهم في كلِّ موضع ، وتقديم قنصل لهم يقضي حوائجهم ، كل بحسب ما جرت به العادة .

3 - الالتزام بتغريم كلَّ من يُحدِثَ ، من أهل البلد كائناً من كان ، فساداً في أرض الطرف الثاني أو في رعيته أَو في مالهم أو في تجارتهم في البر أو في البحر[2] .

وفي «شروط معاهدة السلام التي انعقدت في (الثامن من رجب عام 768هـ ) العاشر من آذار عام 1367م بين محمد الخامس و بيدرو الرابع دي اراغون (Pedro Iv de Araqon) ، التي اشترك فيها ايضاً السلطان المغربي أبو فارس تم الاتفاق على حرية أنتقال التجار القطالونيين في كل أرض بني نصر والبلد البحري مثل إمكانية الاستقرار فيها وممارسة نشاطه بينما استمرت المعاهدة سارية ، وتم دفع الضرائب الاعتيادية ، وفي بدايات عام (776هـ / 1375م) ، أتى بيدرو الرابع (PedroIv ) ، لكي ينجز معاهدة سلام جديدة بين مملكة اراغون ، وغرناطة ، التي فتح فيها تُجّار كلا الطرفين حرية التجارة في كلا الدولتين وسهولة وصول رعايا المملكتين إلى سواحل الدولة الأخرى وبيع بضائع وتأمين المياه "[3] ، وكان لهؤلاء التجار القطالونيون قنصل ينظم أمورهم التجارية مع غرناطة ، ففي

---

1) النقيب ، العلاقات السياسية والاقتصادية بين غرناطة وارغون ، على شبكة الانترنت .

2) Amari, Di michele, I diploma arabi R.Archivio Florention,( Frienze, 1863),P.88.

3) آريه ، راشيل ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ترجمة ، اوس ناصر عبد العزيز ، (رسالة دبلوم ، غير منشور ، كلية اللغات جامعة بغداد ، 2000م) ، ص127 .

والسفارات من اجل تحقيق السلم ، كلما استطاعت ذلك ، حتى كان مطلع النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، غلبت الناحية الدبلوماسية على العلاقات الغرناطية مع الممالك الاسبانية ، وفي تلك الحقبة ، وفي ظل الاهتمام المتزايد بالسفراء ، أصبحت هناك تقاليد خاصة باستقبال وتوديع السفراء ، وذلك من خلال موكب خاص يكون على رأسه الوزراء وكبار رجال الدولة ، ففي عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول ، إكتمل بناء وزخرفة . بهو قُمارش المسمى بـ" بهو السفراء " الذي كان أكبر وأضخم قاعة في قصر الحمراء أكبر قصور بني الأحمر ، وقد سُمي بذلك بسبب إحدى وظائفه وهو استقبال السفراء[1] ، ومن أشهر من سَفَرَ إلى ملوك النصارى من غرناطة لسان الدين بن خطيب وأبن خلدون ، فكانا محط إعجاب سلاطين أسبانيا ، حتى أنَّ سلطان قشتالة عندما توجه له بعض أعيان غرناطة وهمُّوا بالانصراف ، أخرج لهم رسائل أبن الخطيب ، التي تشتمل على نظم ونثر ، وقرأها عليهم ، فقال لهم : "مثل هذا ينبغي أنْ لا يقتل ، ثم بكى حتى بل ثيابه"[2] وأمَّا أبن خلدون ، فقد ذهب بسفارة إلى ملك قشتالة بطرة بن الهنشة اذفونش ، عن ملك غرناطة محمد الخامس ، الغني بالله سنة(765هـ / 1364م) ، إذْ يروي هو خبر هذه السفارة ، قائلاً : " وسفرت عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطرة بن الهنشة بن ادفونش لاتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة من ثياب الحرير والجياد والمقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقيت الطاغية باشبيلية وعاينت آثار سلفى بها وعاملني من الكرامة بما لا مزيد عليه وأظهر الاغتباط بمكاني وعلم أولية سلفنا باشبيلية وأثنى على عنده طبيبه ابراهيم ابن زرور اليهودي المقدم في الطب والنجامة وكان لقيني بمجلس السلطان أبى عنان وقد استدعاه يستطبه وهو يومئذ بدار ابن الاحمر بالاندلس ثم نزع بعد مهلك

1) عنان ، الآثار الأندلسية الباقية في أسبانيا والبرتغال ، ط2 ، مطبعة المدني ،(القاهرة ،1997م ) ، ص196 .

2) المقري ، نفح الطيب ، ج5 ، ص112 .

الطرفين ، فيلجأ المسلم إلى النصراني ويلجأ النصراني إلى المسلم ، وهكذا بحسب تقلبات السياسة وبحسب رجحان كفَّة القوة لديهم ، من كلا الطرفين ، وشمل اللجوء مختلف طبقات المجتمع ، ابتداءً بالسلاطين مروراً بحاشيتهم من وزراء وقادة ، وصولاً إلى عامة الشعب ، وقد التجأ سلطان غرناطة محمد السادس البرميخو سنة (673هـ/ 1261م) إلى قشتالة وملكها بيدرو القاسي(*) ، بعد أنْ فشل في المحافظة على عرشه أمام ضغط السلطان المخلوع الغني بالله ، فكانت تلك غلطة قاتلة ، لأن ملك قشتالة أمر بإحضاره مع جماعة من أنصاره ، يقدر عددهم بـ«27» شخصاً ، وقتلهم جميعاً ، تقرباً إلى سلطان غرناطة المخلوع بالأمس ، الذي رجع إلى كرسي الحكم بعد ان تلقى دعم من سلطان المغرب ، وقام بيدرو القاسي بإرسال رؤسهم إلى غرناطة على أسنَّة الرماح .[1]

وصوَّر لنا الشاعر محمد الشريشي (كان حيا سنة 774هـ/ 1375م)(**) وصولهم لدى ملك الروم ، الذي لم يكن عند حسن ظنهم ، فاسر من أسر وقتل من قتل ، وفي ذلك يقول :

| | |
|---|---|
| وارموا لدى الروم النجاة سفاهــة | وأنَّى لهم من أخذة الله مُنْـــفكُّ |
| فقد أصبحوا ما بين عانٍ مُقيـــدٍ | بقيدِ هوانٍ مالهُ أبدا فـــــــكُّ |
| وبين قتيل في الجحيم مُخـلـــدٍ | وفوقَ أديم الأرض من دمه سفكُ |
| لقد سولت نفسُ الشقي له مُنى | أتته المنايا قبلُ وانتشر الســـلكُ |

1) إبن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، ص527–526 ؛ دوشاتو بريان ، الفيكونت ، أخر بني سراج ، ترجمة ، شكيب ارسلان ، مطبعة الاهرام ،( مصر ، 1897م ) ، ص204 .

*) بيدرو القاسي : هو ملك قشتالة بطرة الهنشة بن هراندة بن شانجة بن الفنش بن هراندة ، تولى الملك بعد وفاة ابيه عام 715هـ/ 1315م . ينظر ترجمته ، ابن الخطيب ، الاحاطة ،ج1 ، ص400

**) الشريشي : هو محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الخولاني ، أبو عبد الله الشريشي ، احد تلاميذه ابن الخطيب ، وجامع الإحاطة . ينظر ترجمة ، إبن الخطيب الكتيبة الكامنة في من لقيناه في الأندلس من شعراء المائة الثامنة ، تحقيق ، إحسان عباس ، دار الثقافة (بيروت ، بلا .ت) ، ص14 ؛ المقري ، نفخ الطيب ، ج7 ، ص133 .

المواضيع وبتحفيز نصراني ، حيث من المفروض ان يكون هذا العيد هو عيد إسلامي خالص بوجوده واحتفاله ، لكن من خلال متابعتنا للنصوص التي توثق هذا الحدث وأوليات الاحتفال به يتبين ان هذا العيد أنما جاء بتأثير النصارى من خلال احتفالهم بميلاد السيد المسيح (عليه السلام) ومشاركة المسلمين لإخوانهم النصارى في الاحتفال به ، مما حفز الفقهاء على ضرورة ترك الاحتفال بميلاد السيد المسيح (عليه السلام) وتوجيه الأنظار للاحتفال بميلاد سيد الكائنات الرسول الأعظم محمد(صلى الله عليه واله وسلم) ، ونرى تلك الدعوة واضحة وصريحة عند أبي القاسم العزفي حيث قال موضحاً ذلك : «وإن تعجب أيها الناصح لنفسه فعجب من إحصائهم لتواريخهم [يقصد مسلمو الأندلس] والاعتناء بمواقيتها ، فكثيراً ما يتساءلون عن ميلاد عيسى (على نبينا وعليه السلام) وعن ينيّر ، سابع ولادته ، وعن العنصرة ، ميلاد يحيى (على نبينا وعليه السلام) فما أعانهم التوفيق ، ولا القرين المرشد ، ولا الرفيق ، ان يكون سؤالهم عن ميلاد نبيهم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، خيرة الله من خلقه»[1] .ثم يذكر الفقيه ان تلك الممارسات التي يمارسها المسلمون لم تكن إلا بسبب الجوار بين المسلمين والأسبان فيقول : «وارى انه ما جرَّ على أهل الأندلس هذا إلا جوار النصارى . . . ومخالطتهم لتجارهم ، ومكاشفتهم عند الكينونة في أسارهم»[2] .

ثم يطرح تساؤله ويتسأل الناس عن ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) ، مجيباً في الوقت نفسه عن ذلك التساؤل قائلاً : «ومما فتن الناس فيه السؤال عن مولد عيسى (عليه السلام) ، فكثيراً مايتساءلون عنه . أو ليس كانوا بميلاد نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) أولى والتهمَّهم به ومعرفته وحفظه لفضله وبركته (صلى الله عليه واله وسلم)»[3] .وفي الختام يعيب عليهم هذا الحفظ لميلاد المسيح (عليه السلام) وإهمالهم حفظ ميلاد الرسول (صلى الله عليه واله

1 ) أحمد ابو القاسم بن ابي العباس ، (ت667هـ / 1278م) ، الدر المنظم في مولد النبي المعظم ، نشره فيرناندو دي لاغرانخا ضمن كتاب دراسات أندلسية وموريسكة ، تأليف نخبة من الباحثين ، ترجمة ، جمال عبد الرحمن ، المركز القومي للترجمة ، (القاهرة 2008م) ، ص31 .

2 ) المصدر نفسه ، ص33 .

3 ) المصدر نفسه ، ص38 .

أن هذا الموضوع لم يلتفت اليه أحد ، على أن الباحث العبادي جعل الاحتفال به نوع من التحدي لأنه يقابل الأعياد المسيحية[1] .

وكان يحضر هذا الاحتفال النصارى منبهرين من جماليتهِ ، وجمالية الاستعدادات الجارية له من قبل سلطان الأندلس[2] . الذي كان شديد الاهتمام بهذه المناسبة ، وربما حفّزت تلك المناسبة سلاطين بني الأحمر للعودة إلى تراثهم الإسلامي العربي ، لا سيما في مجال ارتدائهم لأزياء النصارى ، فنرى الغني بالله يلبس عمامته[3] . التي طرحها أسلافه من قبل تأثراً بالنصارى ولبسوا القلانس[4] . ولا تخلو هذه المناسبة من تأثير اسباني كما هو التأثير في أصل المناسبة ، فعندما يصف ابن الخطيب موائد الطعام السالفة الذكر ، يُذكر ان تلك الفاكهة والحلويات قدمت بإطباق رومية وهو دلالة على استخدام المسلمين للأواني الاسبانية في حياتهم اليومية ، وإعجابهم بها لا سيما وهي تستخدم من قبل سلاطين بني نصر :» ولم يكد المدى يبعد حتى أطل ركاب تال يحمل موائد اللطف والفواكه اليبسه المزاج عجمها ونواها وأعالي قشورها والكعك البديع والتفاح الحلو في أوعية وإطباق خشبية رومية«[5] .

2 :- **عيد ينّير.**

عيد ينّير أو عيد النوروز[6] قَرَنَ ابن سعيد تسمية عيد ينّير بالنوروز[7] ، وربما جاءت هذه التسمية لشبه تلك الليلة بالنوروز الذي يُحتفل به في المشرق لاسيما في بلاد فارس ، كما هي عادة العرب بتشبيه كل ما يجدوه في اسبانيا بالبلاد العربية التي نزحوا منها ، وهو اليوم السابع من ولادة السيد المسيح (عليه السلام)

1 ) الإسلام في ارض الأندلس ، ص107 .
2 ) ابن الخطيب ، نفاضة الجراب ، ج3 ، ص278 .
3 ) المصدر نفسه ، ج3 ، ص277 .
4 ) القلنسوة :- تشير إلى الطاقية التي توضع تحت العمامة ، وهي لم تكن معروفة لدى العرب القدامى بل أتت من الروم ، ينظر حول ذلك دوزي ، المعجم المفصل ، ص295-296 .
5 ) نفاضة الجراب ، ج3 ، ص278 .
6 ) ابن سعيد ، ابو الحسن علي بن موسى ، (ت 685هـ / 1288م) ، المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف ، ط4 ، دار المعارف ، (مصر ، بلا .ت) ، ج1 ، ص294 .
7 ) المصدر نفسه ، ص 294 .

مديــــنــة مســـوَّرة تحار فيها السـحرة

لم تـــبنهـــا إلاّ يـــدا عــذراء أو مـخـــدَّرة

بدتْعروســـاً تجتـلى من دَرمكٍ مزعـــفـرة

ومـــا لـهـا صفـائـحٌ إلاّ البنـــان العشـــرة[1]

وسميت بالمدائن لأنها تصنع على هيئة مدن صغير ذات أسوار ، وكان أهل المغرب والأندلس يصنعونها من أصناف الفواكهة التي يحتفل في اختيارها ، ويتباهى في الإنفاق عليها على قدر وسعة المحتفل ، ثم يدفع ذلك كل إلى الصغار لإدخالٍ السرور عليهم وتوسيعاً في الترفية لأحوالهم وتبشيراً بخصب عامهم وتفاؤلاً ببسط الـرزق ، ويتفاخرون بينهم وتبقى اياماً بحسب كثرتها وقلتها ، ويأتون عليها اكلاً وتفكها بما يصحبها من أصناف الفاكهة[2] .وشرائهم لها يأتي في إطار محاكاة المسيحيين حيث كانوا يشترون الفاكهة خصيصاً لهذا اليوم[3] ، وما زالت عادة توزيع الحلوى وبعض قطع النقود في هذه الأعياد موجودة في اسبانيا إلى اليوم .

وكان الشعراء في سلطنة غرناطة يتقاطرون أمام السلطان النصري لغرض تهنئته بهذه المناسبة ، ففي يوم النيروز من عام( 736هـ / 1335م) ، وقف أبن الخطيب يهني السلطان أبا الحجاج يوسف الأول بهذه المناسبة قائلاً :

أمجـاهـد دين اللـه لقـد أمنت بصارمك الطـرقا

وخليفـتـــه في أمـــة مـن بالوحـي أتـى وبه فرقـــا

هجـرت النـوم لطـاعـتـه بالغزو وواصلـت الأرقا

هـذا النيروز أتـــاك بمـا تهواه وبالبشـرى سبـــقا [4]

---

1) نفح الطيب ، ج4 ، ص63 .

2) العزفي ، الدر المنظم ، ص32 .

3) الطرطوشي ، ابو بكر محمد بن الوليد الفهري ، (ت520هـ/ 1126م) ، الحوادث والبدع تحقيق ، محمد الطالبي ، الشركة التونسية للتوزيع ، (تونس ، 1959م) ، ص141 .

4) ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام ، تحقيق محمد الشريف قاهر ، الجزائر ، مطابع الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،( الجزائر ، 1973م) ، ص633 .

وقد أوردت المصادر الاسبانية الأخبار الكثيرة عن احتفال المسلمين بهذا العيد وعكست قصائدهم حالة الود المشترك بين هؤلاء المحتفلين المتجاورين ومن ذلك قولهم بهذه المناسبة :

تـأتـي أيـام وتـمـضـي أيـام
كـان عـيـد الـقـديـس خـوان
الـذي يحـتفل به
المسيحيون والمسلمون [1]

وهناك قصيدة أخرى تعكس هذا الوئام :

كان ذلك في عيد القديس خوان
وكانت هناك حفلة كبـيرة
أقـامـهـا المسلمـون
في غـوطـة غرناطـة[2]

وتطالعنا قصيدة أخرى تصف هذه الاحتفالات ومشاركة المسلمين بعيد القديس خوان حيث أورد بيريث دي إيتا (من أهل القرن العاشر الهجري في السادس عشر الميلادي) تفاصيل كثيرة عن هذا العيد واحتفالات المسلمين الكبيرة به مرتدين أفضل ملابسهم وأجملها جاء فيها :

في صباح عيد القديس خوان
عـنـد طـلـوع الـنـهـار
يقيم المسلمون احتفالاً كبيراً
فـي مـرج غـرنـاطـة
يحـركـون أحصنـتـهـم

---

1) باروخا ، خوليو كارو ، مسلموا مملكة غرناطة بعد عام 1492م ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، المجلس الاعلى للثقافة ، (القاهرة 2003م) ، ص ، 145 .
2) المرجع نفسه ، ص145 .

يلبس هؤلاء أفضل ملابسهم ويستمعون إلى الموسيقى ويعزفونها ويرقصون على أنغامها[1] ويصف ابن سعيد الاحتفال في مدينة ملقة مع أبيه قائلاً :- "وكان والدي يفضلها ويعجب بها ولاسيما في أيام فرحهم وخروجهم إلى كروم العنب والتين ، ولقد خرجنا إلى كروم أقمنا فيه مدة منفعته ، فعددنا ذلك من أيام النعيم"[2] وأما ابن الخطيب فيسهب شرحاً لتلك المناسبة مبينا ان أهل غرناطة كانوا يحملون معهم سلاحهم إثناء خروجهم للعصير لان الحدود لم تكن أمنة قائلاً :- " وعادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه بما تشتمل عليه دورهم والبروز إلى الفحوص بأولادهم معولين في ذلك على شهامتهم وأسلحتهم وعلى كثب دورهم واتصال أمصارهم بحدود أرضه وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل الذهب الخالص إلى هذا العهد" [3] وحملهم سلاحهم بسبب وجود النصارى كان يثر القلق لحالة الحرب بينهم ، وتحسب لغارات النصارى الذين كانوا دائماً يعكرون صفو هذه المتعة[4] وهي "جاري عادة المسلمين بها [اي بغرناطة] وبإعمالها يحاربون النصارى والنصارى تحاربهم ايضاً ،فتارة لهم وتارة عليهم فتغتنم كل طائفة من الطوائف المغلوبة فإذا وقع بينهم الصلح يصير المسلم يحرث أرضه والنصراني يحرث في أرضه المجاورة لأرض المسلم بينهما حد الزرع لا يعارض الواحدة الأخر"[5]

وعيد العصير ليس من الأعياد الاسبانية التي احتفل بها المسلمون ،وإنما هو عيد جماعي بين النصارى والمسلمين[6] أملته عليهم الأرض المشتركة والبيئة الجديدة التي تأثر المسلمون بها وظل هذا العيد "يُحتفل به في اسبانيا من قبل المسلمين ، ففي القرن [الثاني عشر الهجري] السابع عشر الميلادي احتفل المسلمون بهذا "

---

1) آريه ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص64 ؛ سامية مصطفى محمد ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في اقليم غرناطة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ( مصر ،2003م) ، ص271 .
2) المغرب في حلى المغرب ، ج1 ، ص424 .
3) الاحاطة ، ج1 ،ص138 .
4) غالا ، غرناطة بني نصر ، ص178 .
5) الطوخي ، مظاهر الحضارة في الاندلس ، ص120 .
6) دندش ، دراسات اندلسية ، ص189 ؛ العبادي ، الاسلام في الاندلس ، ص107 .

## المبحث الثاني

# وسائل التسلية واللهو في المناسبات والاحتفالات

### أولاً:- الموسيقى والغناء

الحديث عن الموسيقى الاسبانية والعربية حديث متشعب وطويل ، نظراً لوفرة المعلومات عن الموسيقى وما صاحبها من فنون في الجانب العربي . وشحتها بالنسبة للجانب الاسباني ، إذ أشار المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا إلى ان موسيقى القرون الوسطى ترجع إلى أصل عربي ، وأضاف إذا نحن احتجنا إلى البحث في الموسيقى الكلاسيكية Clasique لجانا إلى الموسيقى العربية واتخذناها سندا ، وقبل دخول العرب إلى اسبانيا لم تكن هناك سوى الموسيقى المدعوة Ficta ، وهي مجموعة الحان كنيسة مأخوذة من اليونان ، وكان القسس يحرصون عليها أشد الحرص ، فلما جاء العرب وازدهرت حضارتهم انتشرت أنغام الزجل والحجاز بأفق اسبانيا ولم تلبث ان اتصلت بها الموسيقى الشعبية واكتسبت فيها روحاً جديدة فنشات من ذلك الموسيقى الاسبانية ونحن ندعوها الموسيقى العربية [1] لذلك سنتحدث عن الموسيقى العربية بشكل مفصل لانها حسب تعبير الدكتور كوت زاكس[*] الذي أشار قائلا انه "من الثابت ان جميع الاتنا الموسيقية مصدرها الشرق . وقد انتقلت منه إلى أوربا بأكثر من طريق . والآلة الوحيدة التي كانت تعتبر أوروبا بانها من مبتكراتها هي الة البيانو Piano ولكن ثبت ايضا ان هذه الالة مصدرها عربي أندلسي ، فان أقدم لفظ اوربي أطلق على هذه الآلة في اللغات

---

1) مراد ، بركات محمد ، الاسلام والفنون ، دائرة الثقافية والاعلام ،(الشارقة ، 2007 م) ص509- 510 .

*) كورت زاكس :- كاتب وباحث مختص بتاريخ الالات الموسيقية والاستاذ الاول في جامعة برلين . ينظر الحجي ، عبد الرحمن ، تاريخ الموسيقا الاندلسية ، دار الارشاد ، ( بيروت ، 1969م) ، ص111 .

وبعد ذلك تقول الاغنية :

| | |
|---|---|
| Depos aquest aueo | وحدث بعد ذلك |
| Que fui a Murcaeu، | أن ذهبتُ إلى مرسية |
| Eto Mais dArreixaco | فطلب مني أغلب أهلُها |
| A aljama mideu Arreixaco | أن أحولها إلى جامع |
| Que [para que] tollesa eigreia | فقد كانت باهية اللون |
| D́ontreles؛ Mas mui greu | ورغم أن ذلك كان صعباً عليّ |
| Mefio، Ca era toda | فقد منحتها وأنا مكره على ذلك |

De nouo Pintadilla[1]

ومما نُظم أيضا على طريقة الأزجال العربية هذه الأغنية :-

أن السيدة العذراء المتوجة لتفضل التواضع مع الفقر
على الغرور والغنى ، لأنها تحتقرهما إحتقاراً شديداً
ولهذاالسبب فإنني سأقص عليكم معجزة بالغة الجمال
صنعتها القديسة مارية أم الرب المجيد
لرجل دين كان راغباً في خدمتها
وقد صنعت العذراء هذه المعجزة لتريه إياها .

"Omildades son Pobreza qu er a Virgen Coroada"
Mas dorgullo con requeza e ela muy despagade
Edesta razon Vos dierei un miragle muy fremoso
que mostrou Santa Maria madre do Rey grorioso
a un crerigo que era de a servir deseioso
e por en gran maravilla le foi per ela mostrada[2]

1) كاسترو ، اسبانيا في تاريخها ، ص383 .
2) بالنثيا ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص623 .

وعندما أرسل فرناندو الرابع ملك قشتالة عمه الأمير دون خوان ليتفاوض مع خايمة الثاني ملك أرجون ، عام(703هـ / 1304م) فتلقى هو وافراد حاشيته هدايا من الملك الارجواني ، وتذكر السجلات من بين هذه الهدايا شاعر جوال اسمه محمد ، وكان يجيد العزف على البوق[1] . ومن تلك الصور أيضاً يتبين الآلات المستخدمة عند المسيحيين والمسلمين على حد سواء ومعظمها عربي كما سيتبين ، واول ما يطالعنا هو :-

**1:- ألة العود Laùd**

ألة موسيقية قديمة من الآلات الوترية ، مكونّة من هيكل يشبه حبة اللوز . وهو من أصل شرقي ، جلبها العرب إلى أوربا في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي عن طريق الأندلس ، وشيئاً فشيئاً انتشرت في اسبانيا ثم في ايطاليا وعمت أوربا في القرنيين العاشر والحادي عشر الهجري/ السادس عشر والسابع عشر[2] . ويصنع عادة من خشب رقيق ويكون وجهة أكثر رقة وخفة ، كما يكون صلباً يطن اذا أنقر وطول العود (ماعدا عنقه) مرة ونصف مرة مثل عرضه وعمقه نصف عرضه وعنق العود مثل ربع طوله[3] . وظهر العود في تلك الصور بصورة واضحة وأكثر من مرة ، ويظهر بنوعين العود ذو الجسم الصغير والكبير ، وكذلك العود ذو العنق الطويل المعروف بالطنبور والذي مازال يستعمل لحد ألان في بعض الأقاليم الاسبانية وجنوب فرنسا حيث يسمى Tambourin à Cordes [4] .

● وكلمة Tambourin à Cordes كلمة عربية أخذت طريقها إلى اللغة الاسبانية في صورة Laùd [5] . وقام زرياب بإضافة وتر خامس آلية مما زاد من سعته

1) الطاهر ، ملحمة السيد ، ص61 .
2) عيد ، الفنون الاندلسية ، ص248 .
3) نصر ، تطور الموسيقى العربية ، ص433 .
4) الجراري ، أثر الاندلس على اوربا في مجال الموسيقى والايقاع ، ص89-90 .
5) رايت . أو ، الموسيقى ، بحث منشور في مجلة عالم المعرفة ، تراث الاسلام ، تصنيف شاخت وبوزورث ، ترجمة ، حسين مؤنس ، ط2 ، مطابع الوطن ، (الكويت ، 1988م) ، ج2 ، ص388 ؛ غومث ، اميليوغرسية ، مع شعراء الاندلس والمتنبي ، ترجمة الطاهر أحمد مكي ، ط6 ، دار المعارف ،(مصر ، 1996م) ، ص208 .

عرفها العرب ، وذاعت بينهم ، جلبها المسلمون إلى شبه جزيرة إيبيريا . وكانت أول قيثارة تصل إلى أسبانيا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[1] . وبذلك يكون وجودها في أسبانيا بتأثير عربي إسلامي ، إذْ لم تأخذ صيغتها الأوربية إلا في عهود متأخرة[2] .

**5: - طريقة الأداء والحان أخرى**

تظهر الصور أداء العازفين والمغنين ، وهي عربية أيضاً ، إذْ قلَّد ألأسبان العرب في جميع مظاهر الموسيقى والغناء ، فتبدوا عربيتها سواء فيما يتعلق بتقنية العزف من حيث إتخاذْ المضراب ، أم من حيث تناول الآلة وكيفية لمس الأوتار ، أو إمساك القوس ، علماً أنَّ استعمال القوس في حدِّ ذاته يعدُّ من التأثير العربي ، إذْ يُظهر أنَّ أوروبا لم تكن تستعمله قبل هذه المرحلة... ويظهر الأسلوب العربي بالنسبة لآلات النفخ واضحاً ، في الإعتماد على الفم في تخزين الهواء ، من دون أن ننسى الإشارة إلى ما تبيَّن عند ملامح أشخاص تلك الصور من مزج بين الموسيقى الالية والصوتية ، ويُعد ، وبلا شك أحد خصائص الموسيقى العربية... كما تُبيَّن تلك الملامح معاً ، مدى التنسيق بين الفرق الآلي والأداء الصوتي الذي تبدو طريقته من خلال لقطة تُظهر المغنين مُشَرأبي الأعناق[3] .

أَمَّا الشخصية الثانية التي كَتبت ألأغاني وذاع صيتُها في بلاد أسبانيا ، فهو نائب الأسقف هينا El Arcipreste de Juan Ruiz ، الذي كتب أغانيه بتأثير عربي خالص ، وذلك من خلال كتابه : الحب الطيب EL Libro del Buen Amor ، الذي الَّفه سنة(730هـ / 1330م)[4] ،

بإعترافه هو ، إذْ يقول : "بأَنَّه صنع الحاناً مرقصة للمتبخترات والراقصات الموريسكيات"[*] .

---

1) عبد العزيز ، الموسيقى الاندلسية ، ص231.2
2) الجراري ، أثر ألأندلس على أوروبا ، ص90 .
3) عيد ، الفنون ألأندلسية ، ص253–254
4) كاسترو ، أسبانيا في تاريخا ، ص425 .
*) لا نعلم بالضبط بأيهما الخلل بالمترجم أم بلغة النص ، فالموريسكيون هم المسلمون الذين بقوا تحت الحكم الاسباني بعد سقوط الاندلس نهائياً ، واستعمال الكلمة هنا جاء بشكل مبكر على ظهور المصطلح ، علماً ان تاليف هذا الكتاب كان سنة (730هـ/ 1330م) .

ومن ألأغاني ألاخري التي استخدمت الأزجال ألأندلسية واخذت قوالبها الغنائية منه ، هو ما يعرف بأغاني المهود "التي تُهدّهِد الأمهات بها أطفالهن ، في ترتيلات دينية تنشد في أنغام غير كنسية ، أي أَنَّ موسيقاها مقتبسة من الأزجال"[1] .

| | |
|---|---|
| أقبـل مـايـو ولـى أبريـــل | Entra Mayo y sale Abril, |
| لقد رأيته مقبلا بالغ الحسن والظرف | tan garridico le vi venir, |
| أقـبـل مـايـو بـزهـــــوره | Entra mayo con sus flores, |
| وولـى أبـريـل بـغـراميـــاته | Sale Abril con sus amores, |
| وبـدأ المحـبـون ذوو الرقـــة | Y las dulces amadores, |
| يسـتمتعـون بغـرامـهـــم[2] | Comienzan a bien servir. |

وتلك نماذج للأغاني المتأثرة بالقوالب الزجلية ألأندلسية ، وعلى امتداد فترات تاريخية متفاوتة .

وكان للمنشدين الموسيقيين حصة في هذا التأثير ، فقد استخدم المنشدون الجوالين في أوروبا ، آلالات موسيقية عربية لأداء قصائدهم ، وأناشيدهم العربية الأصل[3] . وكذلك فقد دخلت آلات أخرى إلى أسبانيا عن طريق ألأندلس . نذكر منها المزمار الخشبي المُسمى (يارعة) والناي المُسمى (شبابة) ، ومنها نشأت الكلمة القشتالية ، كذلك زمارة ، فقد أنتقل إلى أسبانيا تحت اسم زميرة[4] .

ومارس المستعربون دور الناقل والوسيط للحضارة بين كلا الطرفين ، فقد كانوا معجبين بالحضارة ألإسلامية ، ولا سيما الشعر الغنائي فاهتموا "بالشعر والشعر المُغنَّى وكذلك : الموشح والزجل . . وساعدوا بعد ذلك إضافة إلى العوامل الاخرى على نقله ، مع غيره من جوانب الحضارة ألإسلامية ، إلى الشمال ألأسباني فأثروا في أدبه وشعره ، فكانت نشأة الشعر العامي القشتالي في الشمال

1) بالنثيا ، تاريخ الفكر ألأندلسي ، ص629 .
2) عيد ، الفنون الاندلسية ، ص144–145 ؛ الحجي ، تاريخ الموسيقى ألأندلسية ، ص126 ؛ عباس ، اللقاء الحضاري ، ص208 .
3) نصر ، تطور الموسيقى العربية وأثرها في الموسيقى ألأندلسية وأوروبا ، ص431 .
4) آريه ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص79–80 .

مقاطعين المغني ، إنما هي كلمة الله العربية والمعنى ألأسباني Ole . وكذلك المغني كان إلى عهد قريب ، يبدأ غناءه بصيحة طويلة اي على طريقة ما كان يتبع في الغناء ألأندلسي[1] . أمَّا الرقص ، فيقول ترند إنَّ هناك علاقة لا تخفى بين الرقص في جنوب أسبانيا وفي مراكش ، وهي البلد التي هاجر اليها الأندلسيون بعد خروجهم من الجزيرة الايبيرية[2] .

**6:- مصطلحات موسيقية.**

أمَّا أهم المصطلحات التي انتقلت من اللغة العربية ، وأخذت مكانها باللغة ألأسبانية ، فيما يخص الموسيقى والغناء ، فهي :

| | |
|---|---|
| البندير | Bandurria–Pondero |
| الدف | Adufe |
| القانون | La canon |
| النقأوة | Nacaire |
| الشقير | Echiquier |
| الصنوج | Sonjas |
| الغبطة | Goita |
| القرن[3] | El corno |
| قصيدة | qasida |
| الخرجة | Jarcha |
| موشحة | muwachaha |
| زجل | Zejel |
| النقير | anfil |
| البوق | al boque |

1) ترند ، أسبانيا والبرتغال ، ج1 ، ص33 .
2) المرجع نفسه ،ج1 ، ص31 .
3 ) عيد ، الفنون ألأندلسية ، ص241 .

الفسحات التي طولها مئة وثلاثين خطوة والتي توجد في قصر الحمراء متخصصة لهذا النوع من التمارين . مقسمة الى فريقين . وكان البعض يبدأ التحدي لمنازلتهم باقصاب طويلة ، خطرة مثل الرماح وكان اخرون يتظاهرون بالهرب ، ويخفون السيوف بدروع وترس ، ملاحقين الاخرين بدورهم ، وكان جميعهم يركبون على خيول نشطة ، سريعة جداً ، وسهله جداً عند التوقف ، بحيث لاتعتقد ان لها خصما ، واللعبة خطيرة بما يكفي ، ولكن بهذا التظاهر المعتاد في المعركة لكي لايخشى الفرسان من الرماح الحقيقية في الحرب الحقيقية . وبعدها ، بقصب اكثر قصراً ، على نمط الاسهم ، وعلى الكل الركض مع الخيول ، ويرمون بشكل دقيق جداً مثلما لو كانوا يطلقون بالمناجيق او القاذفات"[1] ومتظاهرين "بالفرار ويتدافعون عن الكتف بواسطة درقات ثم يطاردون منافسيهم ، والكل يركب الخيول على الطريقة الزناتية"[2] وفي سنة (894هـ / 1488م) ، شارك وفد من المغرب بعثه عمدة تطوان في هذه اللعبة في قلعة آل غزول ، في مقاطعة قادش ، والوفد يتكون من اثنا عشر فارساً كانوا يلبسون ملابسهم على الطريقة الاسلامية ، ووصلوا ساحة الاحتفالات مع رماحهم ودروعهم ، وبعد ان لعبوا راحوا يرَّقصون جيادهم لمدة طويلة بحيث ان هذا العرض ودَّ كثيرون من الحاضرين من الحاشية والاشبيلين ان لاينتهي[3] [*] .

**3:- لعبة الحلقة.**

مصدرنا الوحيد عن هذه اللعبة هو المؤرخ الاسباني بيريت دي إيتا ، وذلك لعدم ورود هذه اللعبة في المصادر العربية والاسبانية التي اطلعنا عليها ، وكما هو الحال في لعبة القصبة التي عادة ما يحتفل بها الغرناطيون في عيد القديس خوان[4] . فبحسب النص الذي يذكره المؤلف احتفل الغرناطيون في مملكة غرناطة

---

1) آريه ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص74 .

2) الطوخي ، مظاهر الحضارة في الاندلس ، ص124 .

3) اريليو ، مانويل سانتت ، التسلية ، الرياضة والعلاقات الفلكلورية بين الاسبان والفيزوقوطين العرب ، بحث منشور في كتاب الثقافة العربية – الاسبانية عبر التاريخ دراسات وابحاث ، ص120

*) نقلها المؤلف من رسالة مجهولة كتبت بحدود عام893هـ / 1488م ينظر ، المصدر نفسه ، ص120 .

4) إيتا ، الحروب الاهلية في غرناطة ، ج1 ، ص134 .

في عهد ابو عبد الله الصغير داخل قصر الحمراء[1] وحضرته الملكة مع بقية عوائل اشراف غرناطة[2] . وعلى ما يبدو ان هذه اللعبة اسلامية اذ احتفل بها المسلمون والمسيحيون على السواء ، وهذا واضح من خلال النص الذي بين ايدينا والذي يدلل على ان المسلمين كانوا ضليعين في هذه اللعبة ، وقد حضر الى غرناطة مجموعة من الفرسان الاسبان بقيادة كبير رهبانية قلعة رباح ودخلوا حلبة السباق طالبين الاذن

من الملك للمشاركة فيها[3] ، وهذه اللعبة عبارة عن حلقة ربما كانت من خشب تستهدف من قبل فارس يحمل معه رمحه ينطلق بسرعة كبيرة جدا ويحاول التقاطها برمحه[4] ، ويجب ان يتكرر هذا الامر ثلاث مرات حتى يفوز واذا اخفق في التقاطها مرة واحدة فسيخسر ، واذا أتمها ثلاث مرات فستكون الجائزة ثمينه جداً وربما كانت مجموعة من الحلي الثمينة[5] .

**4:- لعبة الشطرنج Ajedrez .**

لعبة الشطرنج واحدة من اشهر العاب العالم ، اصلها لعبة هندية قديمة ، نقلها الفرس الى المسلمين ، ودخلت الى الاندلس ابتداءاً من القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي ، وقد دخلت هذه اللعبة الى قرطبة ، من قبل زرياب وبعض الوافدين العراقيين[6] ، اذ ظهرت اصدائها في الشعر الاندلسي بوقت مبكر ، وذلك عند ابن اللبانة (ت 507 هـ/ 1113م) (*) ، في رثاء المعتمد بن عباد ملك

1) المصدر نفسه ، ج1 ، ص135 .
2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص135 .
3) إيتا ، الحروب الاهلية في غرناطة ، ج1 ، ص 182 –183
4) إيتا ، الحروب الاهلية في غرناطة ، ج1 ، ص149 .
5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص145 .
6) آريه ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص70 ؛ زاهدة ، الحياة الاجتماعية ، ص230 .

(*) ابن اللبانة الداني :– هو ابو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي المعروف بابن اللبانة ، من اهل دانية وهو احد الشعراء الاندلسيين الكبار تردد كثيرا على ملوك الطوائف وتربطه علاقة وثيقة بالمعتمد بن عباد ، توفي سنة 507 هـ/ 1113م ، بجزيرة ميورقة . ينظر ترجمته الذهبي ، محمد بن احمد بن عثمان ، (ت 748هـ/ 1374م) ، سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، 2001م) ، ج 19 ، ص373 .

أشبيلية بقوله :

والدهر في صبغة الحرباء منغمس    ألوان حالاته فيها استحالات

ونحن من لعب الشّطرنج في يـده    وربّما قمرت بالبيدق الشّـاة [1]

وبعد ذلك اخذت هذه اللعبة مكانها بالتدريج في اوساط المجتمع الاندلسي ، ولاسيما الغرناطي منه ، فقد كان الغرناطيون يمارسون هذه اللعبة كوسيلة من وسائل التسلية[2] ، ولشدة ولعهم به فقد اقدم الحسين بن عتيق بن رشيق (كان حياً عام 674هـ/ 1275م) على اختراع شطرنج ذو شكل مستدير[3] ، على غير العادة المعروفة في صناعة هذه اللعبة ، الا انها قد عُدت من الالعاب المحرمة والتي نهى الفقهاء عن مزاولتها وحرموها ، وبذلك الّف محمد بن عبد الله بن محمد الجذامي (ت723هـ/ 1323م) كتاب في تحريم الشطرنج وأسماه ( النهج في تحريم اللعب بالشطرنج)[4] ، دخلت هذه اللعبة الى الاندلس عن طريق العرب ، واعجبوا بها حتى ان الفونسو العالم ترجم كتاب عن الشطرنج يسمى Libro de Ajedrez ومعناه كتاب الشطرنج الذي ظهر فيه المسيحيون والمسلمون وهم يلعبون الشطرنج فيما بينهم ، [5] . انظر الشكل ( 2) .

وكان هذه العمل في اشبيلية سنة (681هـ/ 1283م) ، وحتى انه عدَّ من أهم المؤلفات في القرون الوسطى ، وقد جاء في مقدمة الكتاب مايلي :-

Porque toda manera de alegria quiso Dios que hobiesen los homnes en si naturalmente por que pudiesen sofrir les cueitas e los trabajos cuando les viniesen، por end los homnes buscaron muchas maneras Por

---

1) ـ المراكشي ، محي الدين أبو محمد عبد الواحد ،( ت 647هـ/ 1258م) ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق خليل عمران المنصور ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، 2005م) ، ص103 .

2) أبن الخطيب ، خطرة الطيف ، ص36 .

3) أبن الخطيب ، الاحاطة ، ج1 ، ص267 .

4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص66 .

5) vease , Libro de Ajedrez, de sus problemas y sutilezas de autor arabe descono , según el ms arabe de rich del museo britanico , imprenta de estanislao maestre ,( Madrid , 1935)

que esta alegria Pudiesen haber Complidamientre. Onde Por esta razon fallaron e ficieron muchas maneras de juegos e de trebeios con que se alegrasen.

وترجمتها : لقد شاء الله ان ينعم على البشر بجميع انواع الترفيه ، وقد بحث الناس من التسلية بانواع كثيرة ، ولذا اخترعوا اشكالا متنوعة من الالعاب ليتسلوا بها[1] . والمعروف ان الفونسو العالم اخذ معلومات كتابه عن مصادر عربية حتى ان الصور التي تظهر لاعبين الشطرنج كانوا يلبسون ملابس شرقية ، فضلا عن الموسيقيون الشرقيون بملابسهم وآلاتهم يلاحظون انهم ماسكين آلاتهم بأيديهم اليسرى مستعدين للعزف بها اذا طلب منهم ذلك[2] مما يظهر مدى التعايش بين تلك الاثنيات في ذلك الوقت[3] . ومارس احد سلاطين غرناطة هذه اللعبة مع نبيل مسيحي يدعى فاخادرو موريثا[4] ومن هذا يظهر التاثير العربي على اسبانيا من خلال ممارسة هذه الرياضة الفكرية الصعبة ، وهو واضح من تأثر الأسبان بهذه اللعبة واحترامهم اياها بعد ان كانوا لا يعرفون عنها شيء الا بفضل العرب ، وفضلا عن ذلك فقد انتقلت مفردات هذه اللعبة التي هي في الاصل فارسية ولكنها عربت الى العربية واتخذت طريقها فيما بعد الى الاسبانية ، فنلاحظ ان كلمة الشطرنج اصبحت في اللغة الاسبانية Ajedrez وهي بذلك مشتقة من العربية كذلك انتقلت كلمة مات الشاة الى الاسبانية Cheek-Mate وهو بلفظة ما يذكره الفونسو العالم بكتاب الالعاب ، كذلك لفظة "الطابية" اصبحت بالاسبانية roque وهو الرخ العملاق الذي لقيه السندباد البحري . وهذه الكلمة كان يستعملها المسلمون في اسبانيا بمعنى "عربة Chariot " فضلا عن ان عدد القطع يتفق مع عدد القطع بالنسبة للشطرنج العربي[5] .

1) الحايك ، سيمون ، تعربت وتغريب ، المطبعة البوليسية ،( لبنان ، 1987) ، ص143 .
2) ترند ،اسبانيا والبرتغال ، ج2 ، ص64
3) Cuadrado، Teôfilo، La infuencie musulmana en la Cultura hispano –cirstiana medieval، Vol، 13. P. 63
4) آريه ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص70 .
5) المرجع نفسه ، ص 70 .

ومن ذلك يتضح عمق التاثير العربي الاسلامي في تعرف اسبانيا على هذه اللعبة ومن ثم نقلها الى كل اوربا .

## 5:- مصارعة الثيران.

مصارعة الثيران من الالعاب والمسابقات التي وجدت لها اهتمام كبير في شبه جزيرة ايبريا ، سواء من قبل المسلمين او المسيحيين واختلفت الاراء حول اصل هذه الاحتفالات هل اصلها عربي؟ ام اسباني؟ ومتى ظهرت؟

اولى هذه الاراء تقول انها كانت معروفة لدى الرومان في اسبانيا وان " يوليس قيصر ربما تكون له يد في إشراك الثيران في العاب السيرك في اشبيلية القديمة ،على ان هناك رواية تذكر ان في سنة (93هـ/ 711م) أقام الاسبان احتفالاً كبيراً لمشاهدة الرياضة ، بحيث جعلوا لها قداسة دينية"[1] .

وثاني هذه الاراء» ان الاسبان إبان الوجود الاسلامي في الاندلس كانوا يعرفون مصارعة الثيران ، ويذكر ان السيد القمبيطور Rodrigo Diaz de Bivar صاحب الملحمة المشهورة كان اول من نظم حفلا لمصارعة الثيران في سنة [483هـ] 1090م"[2] .

وهناك راي ثالث يرى ان هذه المصارعة بدات في اسبانيا بعد انتهاء الحكم الاسلامي فيها .[3] اي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[4] . ويبدو اننا لن نصل الى راي محدد حول وقت ظهور المصارعة ، لندرة المصادر التي تكلمت عنها ، عدا ما ذكر في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، وبواسطة نصوص ادبية شعرية ابرزها عند ابن الخطيب ، وابن زمرك .

والظاهر ان نشأتها في اسبانيا لكن بصورة بسيطة وبدائية الى وقت السيد القمبيطور الذي ، يعد حسب النص السابق اول من نظم هذه الاحتفال- وصولا

---

1) Academic American Encyclopedia (BullFighiug), P.501.

2) جرار ، مصارعة الثيران إبان الحكم الاسلامي ، مجلة التراث العربي ،ع 69 ، السنة 18 ، لسنة 1997م ، ص80 .

3) العبادي ، الاسلام في الاندلس ، ص109 .

4) العبادي ، الاعياد في مملكة غرناطة ، ص142 .

الى عصر بني الاحمر ، الذين احتفلوا به ونظموا له وبذلك يكون المسلمون قد شاركو» اخوانهم المسيحيين في لعبة . . . مصارعة الثيران التي وجدت في الاندلس دوناً عن بلاد العالم كله»[1] وهذه المصارعة تكون على نوعين :-

1 - **صراع بين الثور والاسد** :- وهذا النوع من المصارعة شاهدها ابن الخطيب بنفسه ، ونقل لنا صورتها والتي انتهت بجرح الاسد وانتصار الثور ، وبعدها خرجت طائفة من المقاتلين ، وراحوا يناوشون الاسد الجريح الى ان قتلوه بعد ان قتل مجموعة منهم[2] ، وكان هؤلاء مجموعة من الاشخاص المحترفين يختفون داخل كرة خشبية مستديرة يحركونها فتثير الاسد ويهجم عليها وبيد بنطحها فلا يستطيع كسرها[3] .

2 - **بين الثور والانسان** :- وانتشارها بشكل واسع في غرناطة ، وكيفية هذه المصارعة هو باطلاق الثور او البقر الوحشي كما يسميه ابن الخطيب ، ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحشة او الكلاب الرومية Bull Dogs [4] كما يسمونها احيانا .

ولها تسمية اخرى هي كلاب الثيران[5] والتي تاخذ في نهش جسمه واذنيه وتتعلق بهما في صورة القرط في اذانها[6] "وهذا اقدم نص وجدناه عن هذه المصارعة المشهورة"[7] "وهذا العمل التمهيدي ، كان الغرض منه هو الحد من قوة الثور ، وتهذيب حركته ، وهو مايقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام Banderilleros وطاعن الرمح Picador ، وذلك تمهيدا للقاء المصارع الذي كان فارساً مغواراً يصارع الثور على فرسه المدرب ثم يقتله في النهاية برمحه . وهذا النوع من المصارعة لايزال قائما الى اليوم في اسبانيا ، ويسمى الفارس المصارع

---

1) العبادي ، صور من التسامح الديني ، ص16 .
2) الاحاطة ، ج2 ، ص6-7 .
3) دسوقي ، التأثير الاسباني في المجتمع الاندلسي ، ص80 .
4) جرار ، مصارعة الثيران ابان الحكم الاسلامي ، ص83 .
5) الطوخي ، مظاهر الحضارة في الاندلس ، ص125 .
6) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج4 ، ص479 .
7) العبادي ، الاعياد في مملكة غرناطة ،ص142 .

باسم Rejoneador نسبة الى الرمح القصير الذي يستعمله في قتل الثور واسمه "Rejon". [1] وغالباً ما يكون هذا الفارس مغواراً يصارع الثور وهو ممتط فرسه المدرب ثم يقتله بالنهاية برمحه[2]، ويصف لسان الدين ابن الخطيب هذه المصارعة بين الثور والكلاب الرومية Bull Dogs مخاطبا سلطانه قائلاً :-

وطارَدْتَ الصّوارَ بكلّ ضـــارٍ    كما أَتْبَعْتَ عفْريتاً شِـهابـــا
ضَـرَبْتَ به على الآذانِ منهـــا    فلـم تَسْطِعْ حراكاً واضطـرابا
ومعصوبِ الجبينِ بتـــاجِ رَوْقٍ    يـروعُ خُـوارُهُ الأُسْدَ الغِضـابـا
تَعَرَّفَ أنَّ تحتَ الأرضِ ثَـــوراً    فـرام بأن يَشُـقَّ له التُّرابـــا
وَكَلْتَ به هضـيمَ الكَشْـحِ أجْنى    حـديدَ النـابِ تحْسَبُها حـرابـا
تبـاعَدَ مجمعُ الشّدقيْن منــــه    وسـال المـوتُ بينهما لُعـابـا
فأثبتـه كوحـيِ الطَّـرْفِ حتّـــى    تَوَثَّق منه جازِرُهُ غلابـــا[3]

وفصَّل القول في قصيدة اخرى قالها بمناسبة اعذار(ختان) ابن السلطان الغني بالله ، مبينا جانبا من مصارعة الثيران حيث قدم لها بقوله : " وقولي في امتداح سلطاني لما احتفل لاعذار ولده واستركب الفرسان لمزاولة الهدف الخشبي المتخذ في الجو المسمى بالطبلة ، وارسل جوارح الأكْلُب الضخام ، المجتلبة من ارض اللان ، خلف فحول البقر الطاغية الشرس ، تمسكها من آذانها واجنابها ، حتى تتمكن منها الرجال" [4]

وطاردت مقدام الصَّوار [*] بجارح    يصـاب به منه الصماخ او الابط

---

1) العبادي ، الاعياد في مملكة غرناطة ، ص143 ؛ آريه ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، ص 71-72 .
2) ابن الخطيب ، خطرة الطيف ، ص37 .
3) الاحاطة ،(نصوص جديدة لم تنشر) ، جمع وتحقيق عبد السلام شقور ، مؤسسة التغليف ، (طنجة ،1988م) ، ص 129 ؛ المقري ، نفح الطيب ، ج7 ، ص 297 . وقد اخطا العبادي في نسبتها الى ابن زمرك ، والصحيح ما اثبتناه من نسبتها الى ابن الخطيب ينظر :
Al- Abbadi، El reino de Granada ، P. 100.
4) ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج4 ، ص405 .
*) الصوار ، القطيع من البقر الوحشي ، ينظر ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج4 ، ص408 .

وجيء بشبل الملك ينجد عزمه عليه الحفاظ الجعد والخلق السيط
سمحت به لم ترع فرط ضنانة وفي مثلها من سنة يترك القـــرط
واسد نزال من ذؤابــة خــزرج بها ليل لا روم القـــديم ولا قبـط[1]

والمقري يعرج على نفس الموضوع بخصوص القصيدة حيث يشير الى تلك القصيدة ذكرا الفرسان المحتفلين قائلاً : " والثيران التي اُرْسَلَ عليها الَاكلُبَ الروميّة تمسكها في صورة القرط من آذانها " [2]

وطاردت مقدام الصوار بجارح يصاب به منه الصماخ أو الإبط
متين الشـوا فى رأسه سمهريـة مقصـرة عنهن ما ينبت الخـط
وقد كان ذا تـاج فلمـا تعلقـا بسامعتيه زانـــه منهمـا قـرط[3]

وركّز المؤرخون على الكلاب الرومية وفائدتها في مثل هذه المناسبات ، والظاهرة من تسميتها انها كانت تجلب من بلاد النصارى للمساعدة في تقليل قوة الثور ، وتبدوا انها انواع فالاولى صغيرة الحجم لان المؤرخين ، كابن الخطيب ، والمقري اشاروا من خلال النصوص السابقة ان هذه الكلاب تتعلق باذان الثوار على شكل اقـراط ، والثانية كـلاب ضخمة وهوما ذكـره ابـن الخطيب بقوله "الاكلب الضخام" [4] يتبين من نص ابن الخطيب الى ان تلك الرياضة قد جرت على ملعب روماني قديم [5]

وقامت على منحوتةٍ من زَبَرْجَدٍ تُخَطُّ على الصُمِّ الصّلابِ إذا تخطو
وكلِّ عتيقٍ من تَمَاثِلِ رومـــــةٍ تأَنّقَ في استخطاطِهِ القسُّ والقِمـْطُ[6]

---

1) المصدر نفسه ،ج4 ،ص408 .
2) نفح الطيب ، ج6 ،ص459 .
3)ابن الخطيب ، الاحاطة ، ج4 ،ص408 ؛ المقري ، نفح الطيب ،ج6 ،ص462 .
4) الاحاطة ، ج4 ، ص405 ؛جرار ، مصارعة الثيران في الاندلس ايان الحكم الاسلامي ، مجلة التراث العربي ،ع69 ، السنة 18 ،لسنة 1997 م ، ص84 .
5) جرار ، مصارعة النيران ،ص83 .
6) الاحاطة ،ج4 ،ص83 .

وهذا النص يؤيده ابن سعيد المغربي حيث ذكر وجود مسارح اسبانية قديمة في معظم بلاد الاندلس ولاسيما في حصن مربيط [*] من حصون بلنسية فيقول : " هي من المدن الرومية المشهورة بالاندلس ، فيها اثار عظيمة ، واعظمها الملعب الذي امام قصرها ، وهو صنوبري الشكل ، وقد ارتقى باحكام صنعة درجة درجة ، الى ان تكون الدرجة العليا لايجلس فيها الا الملك وحده ، ثم ما انحدر منها اتسع المكان ، بحسب الطبقات الى ان تكون الدرجة الاخرى لجمهور من يلوذ بالملوك من غير الخاصة المقربين" . [1]

وايضا كانت ساحة باب الرملة تحتضن تلك المناسبات وعادة ما يحضرها سلاطين غرناطة ، وجميع الناس ومن مختلف الطبقات الاجتماعية .[2]

وكانت عوائل غرناطة من الطبقة العليا مهتمة بالمشاركة في مثل هذه المناسبات فتشارك بصورة جماعية ، فينزل الجميع الى تلك ساحة ، وقد استطاع فرسان بني العباس احدى عوائل غرناطة المشهورة في اخر ايام السلطنة من قتل ثمانية ثيران بمهارة كبيرة ودون ان يصاب اي منهم باذى [3] .

1 ) المغرب في حلى المغرب ، ج2 ،ص375 .
2) إيتا ، الحروب الاهلية في غرناطة ،ج1 ،ص102 .
3) إيتا ، الحروب الاهلية في غرناطة ،ج1 ،ص102 .
*) مربيط :- او مربيطر وهو حصن قريب من طرطوشة على قمة جبل ، فيها اثار قديمة منها دار الملعب واصنام وغير ذلك ، وهي كثيرة الزيتون والشجر والاعناب واصناف التمور . ينظر ترجمته ، الحميري ، الروض المعطار ، ص 540 .

## المبحث الثالث

# الملابس والعادات الاجتماعية الأُخرى

### أولاً : – الملابس

عُرف عن ألأندلسيين اهتمامهم الكبير بإقتناء الملابس ، وعنايتهم الكبيرة بالنظافةَ ، ولاسيما نظافة ملابسهم ، وكـان الغرناطيون على جانب كبير من الأناقة ، حتى وصفهم إبن الخطيب بقوله : " فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنَّهم الازهار المتفتحة في البطائح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة "[1] ، وازدهرت صناعة المنسوجات في مملكة غرناطة النصرية ازدهاراً لم تبلغه من قبل ، وانتشرت في كافة المدن تقريباً فكانت المرية مرتبة الصدراة في صناعة الحرير والديباج الثمين ، وكان فيها ثمانمائة نوال[*] لصناعة الحرير ، والف نوال لصناعت الحلل النفيسة والديباج الفاخر[2] ، واشتهرت تلك المنسوجات الحريرية ، حتى قال عنها إبن سعيد بأنَّها " ما لم يبصر مثله في المشرق ولا في بلاد النصارى "[3] ، وكان حرير غرناطة لا يضاهيه في الجودة حرير سوى الحرير العراقي بحسب قول إبن الخطيب " وكفى بالحرير الذي فضلت به فخراً . . . تختاره منها البلاد ، وتجلبه الرفاق ، وفضله لا يشاركها إلا البلاد العراقية "[4] ، ولجودته فقد كان محط اهتمام من سكان أوربا ولاسيما مدينة جنوى الايطالية ، فكانوا يستوردون كميات كبيرة جداً ، وذلك في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، وحتى أواخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وتطورت صناعة الحرير في عصر

---

1) اللمحة ، ص27 .

*) النوال : هو الة يدوية ، وتستخدم في نسج النسيج ، تتكون اساساً من اجزاء يمكن بواسطتها ان تتعاشق مجموعتا السدى واللحمة مع بعضها البعض لتكوين المنسوج . ينظر صبري ، عبد المنعم ، معجم مصطلحات الصناعات النسيجية ، دار الاهرام للنشر ،( القاهرة ، بلا .ت) ، ص150 .

2) المقري ، نفح الطيب ،ج1 ، ص163 .

3) المغرب في حلى المغرب ،ج2 ، ص194 .

4) الاحاطة ،ج1 ، ص99 .

بني ألأحمر واثرت منسوجاته على من حوله من الممالك النصرانية[1] ، وكانت منسوجات قرية تارجة تُبعث إلى الامراء المسيحيين في ممالكهم . وحملت سفن قشتالة بالديباج والوشي والمنسوجات الحريرية ، وذلك عام (806هـ/ 1404م)[2] .

لقد أثَّرت هذه الجودة والشهرة العالية في الحرير الغرناطي بألأسبان ، وجعلوه محط انظارهم واستعملوه في مناسباتهم ، وذلك لغرض تكفين موتاهم ، لاسيما القديسيين ، ويُذكر أنَّ النسيج الحريري ألأندلسي كان موجوداً في أسبانيا المسيحية ، وذلك من خلال وجوده في القبور الملكية في

Santa maria La Real de los Huglgas

في بورجس Burgos [3] ، واشهر أنواع الحرير المستعمل في الطقوس الجنائزية هو الحرير المسمى بالدمشقي ، أو البروكار العربي ، ويُستعمل في التكفين عادةً[4] ، وكانت الملابس الحريرية تُطرز بأنواع الزخارف الهندسية والنباتية ، فضلاً عن التطريز الكوفي . ونرى ذلك واضحاً من ملابس المراسيم لبعض الملوك النصارى ألأسبان ، فيها كتابات بالخط الكوفي (ادعية أو آيات قرآنية) ، ظناً بأن تلك الكتابات ليست إلا نقوشاً للزينة ، خالية من المعنى[5] ، وتلك الالبسة الحريرية المطرزة بالأحرف تَركَّز إنتاجها في مالقة والمرية[6] ، وانتشرت كذلك ظاهرة ازدواجية اللون في الملابس الغرناطية ، بتأثير اسباني واضح وهو تقليد قوطي انتشر في قشتالة خلال القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي[7] ، ففي مالقة يطرزون نوعاً من الاقمشة الحريرية ، تدعى الحلل الموشية ، وهي

1) الشريف ، مدينة مالقة ، ص274 .
2) المرجع نفسه ، ص274 .
3) كونستبل ، التجارة والنجارة في ألأندلس ، ص331 .
4) ايرفنع ، واشنطن ، اخبار سقوط غرناطة ، ترجمة ، هاني يحيى نصري ، مكتبة الانتشار العربي ، (بيروت ،200م) ، ص418 .
5) لوبيز ، غوميز مارغريتا ، اسهامات حضارية للعالم ألإسلامي في أوروبا عبر ألأندلس ، بحث منشور ، ضمن كتاب الحضارة العربية ألإسلامية في ألأندلس ، تحرير سلمى الجيوسي ،ج2 ، ص1480–1481 .
6) آريه ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص37 .
7) ارية ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص37 ؛ غالا ، غرناطة بني نصر ، ص172 .

متعددة الالوان[1] ، وقد طور النساج الغرناطي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، طريقة جديدة استطاع من خلالها أنْ يستخدم الوان عدة ، وبرع في ابراز الزخارف الهندسية الشهيرة عن طريق هذه الالوان ، التي يدل انسجامها على رقّة وذوق عجيبين[2] ، أمَّا عن ملابس اهل غرناطة وتأثرها بألأسبان ، فيقول إبن سعيد المغربي مُجملاً القول فيها ومتحدثاً عن زي اهل ألأندلس : « وكثيراً ما يتزيا سلاطينهم واجنادهم بزيِّ النصارى المجاورين لهم ، فسلاحهم كسلاحهم ، واقبيتهم من الاشكرلاط[*] وغيره ، كأقبيتهم ، وكذلك اعلامهم وسروجهم ، ولا تجد في خواص ألأندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان[**] ، الا أنَّه لا يضعه على رأسه منهم إلا الاشياخ المعظمون ، وغفائر الصوف كثيراً ما يلبسونها حمراً وخضراً ، والذؤابة لا يرخيها الا العالم ، ولا يصرفونها بين الاكتاف ، وإنَّما يُسدلونها من تحت الإذن اليسرى ، وإن رأوا في رأس مشرقي داخل إلى بلادهم شكلاً منها اظهر التعجب والاستظراف ، ولا يأخذون انفسهم بتعليمها ، لأنَّهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم ، وكذلك في تفصيل الثياب"[3] ، ومن ذلك يتضح ما للنصارى من تأثير بيِّن على ازياء المسلمين في سلطنة غرناطة ، وما آلت اليه حال ألأندلس من تبعية ثقافيّة للأسبان ، حذَّر منها فيما بعد إبن خلدون ، قائلاً : «كما هو في ألأندلس لهذا العهد مع امم الجلاقة ، فإنَّك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت ، حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء والامر لله» [4] .

وبأثر ذلك تصاعدت دعوات المسلمين لنبذ التشبه بالنصارى ، لاسيما بأزيائهم ، وعدوا ذلك من أسباب العار التي تلحق المسلم ، ونرى ذلك واضحاً عند

---

1) العناني ، علية ابراهيم ، ثلاث منسوجات من الطراز الغرناطي ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدريد ، مج1 ،ع-2 ،(مدريد ، 1954م) ، ص313 .
2) المرجع نفسه ، ص314 .
3) المقرى ، نفخ الطيب ،ج1 ، ص223-222 .
4) المقدمة ، ص450-451 .
*) الاشكرلاط : نوع من الجوخ ، ينظر ، المقرى ، نفخ الطيب ،ج1 ، ص223 .
**) الطيلسان : سياتي التعريف به مفصلاً في هذا الفصل .

صاحب طرفة الطريف (*) في مقامته التي اشار فيها إلى تلك المتغيرات التي طرأت على المجتمع ألأندلسي ، وهذه المقامة تقوم على خطى ما كُتب عن المفاضلة بين العدوتين المغربية وألأندلسية ، مثل المفاخر بين سلا ومالقة لإبن الخطيب ، وكتاب مفاخر البربر لمجهول ، وأتت هذه المقامة لتكملة ذلك الخط ، الذي يقوم على ابراز عيوب ومحاسن مدينتين يقارن بينهما المفاخر .

والمفاخرة تقوم على اعتماد كاتبها على شخوص مفترضين أوجدهم من خياله ، وراح من خلالهم ينتقد ألأندلس ومدنها وعادات اهلها وتقاليدهم ، مشيراً إلى تبديل عاداتهم وتأثرهم بالنصارى ألأسبان ، إذْ يقول منتقصاً منهم ومخاطباً احدهم ، ويدعى زعانة :

أزل عنك التشبه بالنصارى    وعد لفعال قومك يازعانه [1]

وقوله مرةً أُخرى

ما انت الارجل خوَّار    لباسك الغشكون والزنار[2]

وقول اخر ، منتقداً إياهم لتشبههم بالنصارى :-

يتشبهون بكل اغلف كامن    في زيهم وكلامهم في المشهد

وطعامهم وخلالهم وشرابهم    ومناكر ياتونها وسط الندي[3]

ونلاحظ أنَّ التأثير قد بدء من راس الهرم في سلطنة غرناطة ، كما حدثنا انفاً إبن سعيد المغربي ، فقد لبس محمد بن يوسف المؤسس لسلطنة غرناطة ملابساً اسبانيةً تعبيراً عن ذلك التداخل الحضاري بين الجانبين ، كما مرَّ علينا في الفصل الأول . وقد إستُفتي فقهاء المسلمين حول لبس زيِّ الاعاجم والتزين به ، فاجابوا

---

1) مجهول ، من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، طرفة الظريف في اهل الجزيرة وطريف ، تحقيق ، محمد بن شريفة ، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ،ع1 ،(1977 م) ، ص14-15 .

2) المصدر نفسه ، ص33-34 .

3) إبن القاضي ، احمد محمد المكناسي ، ( ت1025هـ/ 1616م) ، ذيل وفيات الاعيان المسمى درة الجمال في اسماء الرجال ، تحقيق ، محمد الاحمدي أبو النور ، المكتبة العتيقة ، (تونس ، بلا .ت) ، ج3 ، ص23 .

*) هو مجهول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي .

بكراهية ذلك ولم يفتوا بحرمتها[1] .

ونلاحظ تلك التأثيرات في الرسوم التي في قصر الحمراء ، فكان من « الطبيعي أنْ يترك لنا الفنان الذي قام بدهان وزخرفة القبة اصداء الموضة المسيحية . فهو فنان تربى في الوسط المسيحي . وهذه التأثيرات تتمثل في ربطة العنق والجلباب ذي اللونين . وتذكرنا بطانة ربطة العنق والخمار الذي تضعه النساء في القباب ألآخرى بمنسوجات المنمنمات المسيحية خلال القرن [ السابع الهجري] الثالث عشر [الميلادي]" [2] .

ومن التأثيرات ألآخرى ، نوع من اللباس ألأسباني ، وهو عبارة عن سترة ذات ذيل طويل مشدودة على الخصر ، التي لبسها المسلمون ، وهي بطبيعة الحال ذات تأثير اسباني محظ[3] ، وقد كانت " نساء غرناطة يلبسن البناطيل البيضاء ، وكن يغطين أجسامهن ورؤسهن بقماش أبيض كان يصل إلى ربلة[*] الساق وهو مشابه إلى الرعاة ألأسبان في القرى ، وكن يخفين الجزء الاسفل من الوجهه" [4]

ومن جهة أُخرى ، فقد اُعجب ألأسبان بالملابس العربية ، ولبسوها اعجاباً منهم بالذوق العربي الرفيع في تصميم تلك الملابس إذْ تقول آريه : "روى لنا ليون روسميثال البارون ، اثناء قدومه من سفره من بوهيما زار فيها أسبانيا سنة [870هـ] 1466م ، إنَّ سيداً متمكناً استقبله في بوركوكس ، وجد في قصره السيدات والشابات مرتديات ملابس مزخرفة بشكل غني على المودة ألإسلامية ، أمَّا ملك قشتالة انريكة الرابع الذي استقبله في ماغوبيا فكان يأكل ويشرب ويلبس على الطريقة ألإسلامية ، وكان صديقه المقرَّب مشير ميكيل لوكاس ده ارأنشو يركب الخيل لابساً جبة من الحرير والالـوان الحية" [5] . ويقصد بالالوان الحية الالوان العربية نظراً لما تمتاز به الثياب العربية من زخرفة كثيرة وملونة .

1) إبن جزي ، القوانين الفقهية ، ص375 .
2) مالدونادو ، الفن الطليطلي ألإسلامي والمدجن ، ص276 .
3) آريه ، المنمنمات في أسبانيا ألإسلامية ، ترجمة ، محمد خير البقاعي ، دار الفيصل للثقافة ، (الرياض ، 2002م) ، ص60 .
4) آريه ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص 44 .
5) آريه ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص99 .
*) الربلة : هي باطن الفخذ . ينظر ترجمتها إبن منظور ، لسان العرب ، مادة ربلة

وقد لاحظ البارون التشيلي روزميتال Rosmithal اثناء زيارته إلى قشتالة في منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، حالة جلبت انتباهه ، ودونها سكرتيره الخاص في مذكراته ، قائلاً : " يقيم في برغش Burgos كونت قوي الشكيمة ، وقد اخذ سيدي إلى قصره . . ومعه رفاقه . كما حضرت إلى القصر فتيات جميلات وسيدات وقد ارتدين ابهى الثياب على الطريقة الموريسكية (*) وكن يتبعن نفس الطريقة في المظهر "[1] .

وعندما اخذت قشتالة تزداد غنى في النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، ادى الميل إلى حياة البذخ في الملبس والعادات إلى استخدام ما هو موريسكي(**) ، وقد كان النموذج الأمثل للدلالة على الثراء والتميز منذ ما يزيد على قرون عدة .[2]

كذلك فأن ميجيل لوكاس دي لارنثو M. L. de Lranzo ، المقرب من انريكة الرابع ، كان يمتطي صهوة جواده على الطريقة زناتة Jineta ، وهو يرتدي جلباباً متعدد الالوان .[3]

وقد اشرنا إلى كثرة الالوان في الملابس العربية . كما أنَّ الملكة ايزابيلا الكاثوليكية ، كانت ترتدي الملابس العربية اثناء تسلمها وزوجها مفاتيح غرناطة ، فكانت تلبس البروكار العربي وتتشح بوشاح قرمزي على الطريقة العربية ، وبجانبها إبنتها التي تلبس هي أيضاً فستاناً من البروكار الاسود ، ووشاحاً اسود كوشاح الملكة . فضلاً عن أنَّ الملك فرناندو أيضاً لبس جاكيتاً من البروكار العربي ، وعباءة مصنوعة من القماش نفسه ، ويتمنطق بسيف عربي مطعَّم ، وكانت الملكة تضع الحجاب الحريري الذي اقتبسه ألأسبان من العرب أيضاً ، حتى أنَّ اغطية السرير الذي جلسا عليه ، كان من القماش العربي أيضاً .[4] .

---

1) اميركو ، أسبانيا في تاريخها ، ص113
2) كاسترو ، أسبانيا في تاريخها ، ص113 .
3) كاسترو ، أسبانيا في تاريخها ،ص114 .
4) ايرفنع ، اخبار سقوط غرناطة ، ص224–225 .
*) نلاحظ استعمال كلمة المورسكيين مع العلم ان الحادث وقع في منتصف ق9هـ/ 15م
* *) نفس الملاحظة السابقة حول استخدام كلمة موريسكي .

واكمالاً للبحث ، نُلحق قائمةً بأسماء الملبوسات العربية التي دخلت إلى اللغة ألأسبانية ، واصبح ألأسبان يستخدمونها كجزء من مفردتها اللغوية ، وواقع حال يتعاملون به في حياتهم اليومية وهي :

الدّرّة وهو نوع من الحلل المزررة Adorra

اللحاف ، وهو دثار أو معطف من الجلد ، أو كساء واسع للمرأة Allihafa، alifafa

المبطنة ، وهي سترة من فرو أو جلد . Mobatana

المطر ، وهو معطف للمطر . Almadrene

الطراز ، وهو نوع من القماش الحريري المطبوع بالالوان الزاهية . Tiraz

نوع من القماش الممتاز سمي بذلك نسبة إلى بغداد التي كانت في تلك الازمنة تدعى عندهم Baldac

القماش الموصلي وهو نوع من الاقمشة الخفيفة Muselina

قماش القطيفة Alcatifa

الكوفية Cofia

غطاء للراس منسوب إلى مدينة الكوفة انتقل إلى ألأسبانية واللغات الأوربية ألآخرى وصارت تعني في هذه اللغات غطاء للراس أو قبعة للسيدات ، ومنها اخذت كلمة coiffure اي مصفف شعر[1] .

وهو نسيج صوفي لا ينفذ منه الماء ويضع منه Barragan

نوع من الشملان تلقي على الكتفين

إنَّ شيوع هذه الالفاظ في اللغة ألأسبانية ، دليل على عمق تغلغل التأثير الحضاري في أسبانيا .

**1:- أغطية الرأس، أمّا عنها فنجد:**

**أ:- العمامة:** وصفت العمائم بانها "تيجان العرب"[2] ، لبست في الجاهلية

---

1) الأوسي ، التأثير العربي في اللغة ألأسبانية وما يقرره من حقائق ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، مج32 ، ع32 ، (بغداد ،1982م) ، ص47-49 .

2) الجاحظ ، أبو عثمان بحر بن الجاحظ ، (ت225هـ-في839م) ، البيان والتبين ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، (القاهرة ،1968م) ، ج53 ، ص97 .

والاسلام ، وصفها بدقة ابو الاسود الدؤلي بعد ان ذكرت أمامه ، فقال : "جنة في الحرب ومكنة من الحر ، ومدفأة من القر ، ودثار من الندى ، وواقية من الاحداث ، وزيادة في القامة ، وهي بعد عادة من عادات العرب"[1] . وهي تُلبس بحسب المكانة الاجتماعية للافراد ، وتكون على أنواع عدة ، فهناك عمائم الخلفاء وعمائم العلماء واخرى للفقهاء[2] . كما انها كانت تختلف من حيث النسيج المصنوعة منه ، والذي يستخدم للعمامة خليط من الكتان والصوف والحرير ، وقد يستخدم الحرير تطريزها[3] ، فمنها عمائم الفوط الملونة ، وعمائم الوش المطرزة بالحرير وكذلك المطرزة بالذهب ، والعمائم الشرب ، وهي ما رقَّ من الكتان ، وعمائم القصب وهي من رقيق الكتان الناعم ، وكانت تختلف في الالوان فمنها ما كان لونه ابيض ، ومنها ما اتخذ اللون الأصفر أو الأخضر أو الاسود[4] ، وليس هناك قانون أو عرف متداول يحكم لون وطريقة لبس العمائم ، عدا أنَّ اليهود كانوا يُحرم عليهم لبس العمامة[5] .

وانتقلت العمامة إلى ألأندلس مع مجيء العرب الفاتحين لها ، واصبحت سمة العرب والبربر . غير أنَّه مع مرور الزمن اختلف الأمر بالنسبة للبس العمامة عند العرب ، فيذكر المقري «أنَّ أهل ألأندلس كانوا لا يعرفون العمامة التي كانت عند اهل المشرق ، وإذا رأوا في رأس مشرقي داخل إلى بلادهم شكلاً منها ، اظهروا التعجب والاستظراف ، ولا ياخذون انفسهم بتعليمها ، لأنَّهم لم يعتادوا ولم يستحسنوا غير أوضاعهم»[6] .

---

1) المصدر نفسه ، ج3 ، ص97 .
2) سحر ، عبد العزيز سالم ، ملابس الرجال في ألأندلس في العصر الإسلامي ، بحث منشور في كتاب بحوث ندوة ألأندلس الدروس والتاريخ ، دار المعرفة الجامعية ، (مصر ، 1994) ، ص252 .
3) Sebastian,violante desanta, Moorish fashion in Thirteenth Century Spain. P.5.
بحث منشور على شبكة الانترنيت WWW. Spainshpeacock. com
4) دوزي ، المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ص251-254 ؛ سحر ، ملابس الرجال في ألأندلس ، ص252 .
5 ) Sebastian, Moorish fashion in Thirteenth Century Spain. P.5.
6) نفح الطيب ، ج1 ، ص223 .

والظاهر أنَّها لم تستهجن من كلِّ أهل ألأندلس ، ففي غرب ألأندلس «لاتكاد ترى منهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً اليه الا وهو بعمامة»[1] ، أمَّا شرقي ألأندلس ، فقد كان الغالب عليهم ترك العمائم ، ويبدوا ذلك واضحاً عند بعض سلاطين غرناطة ، الذين كانوا حاسري الرؤوس ، مثل مؤسس سلطنة غرناطة ، فقد كان أيضاً ممن نزع العمامة ، ودخل غرناطة بشاية ملف ممزقة ، وأوضحنا ذلك سابقا . والسلطان البرميخو ، فقد ظهر حاسر الراس على عرشه ، وفي أحياء غرناطة من دون عمامة[2]

ويبدو أنَّ بعض الفقهاء والقضاة والعلماء في سلطنة غرناطة ، حافظوا على لبس العمامة ونَزَعَها عامةُ اهلها . وهو واضح عند إبن الخطيب ، الذي أوضح كذلك ، بقوله : إنَّ «العمائم تقل في زيِّ أهل الحضرة الا ما شذَّ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم ، والجند الغربي منهم»[3] ، غير أنَّ ذلك لا يعني أنَّها أُهملت من كل اهل غرناطة ، وذلك واضح من خلال النصوص التي أوردناها ، فقد كان السلطان اسماعيل بن فرج يضع العمامة على راسه[4] ، ويؤكد إبن الخطيب مرةً اخرى ، أنَّ العمامة في زمن الغني بالله رجعت تتصدر اللباس الرسمي للسلطنة . بعد انْ تغافل عنها الناس لفترة طويلة ، وكان ذلك في معرض حديثة عن الغني بالله وإحتفاله بالمولد النبوي الشريف ، سنة( 764هـ/ 1363م) ، إذْ قال بعد أنْ عدَّد صفات سلطانه الحسنة «ويبهرهم رواؤه لمكان تاج العمة التي صار اليها زي الملك بألأندلس وكان قبله غفلاً منها»[5] ، ونلاحظ من كل هذا أنَّ الامر في لبس العمامة متذبذب ، فقد لبسها بعض السلاطين ، وخلعها اخرون ، كما رأينا ، كذلك بالنسة للطبقة الحاكمة ، امثال إبن الخطيب ، وحتى الفقهاء الذين كانوا مواضبين على لبس العمائم ، نرى أنَّ إبن سعيد يشير إلى عالِم مرسية الأول عزيز

---

1) المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص223 .
2) إبن الخطيب ، نفاضة الجراب ، ج2 ، ص183 .
3) الاحاطة ، ج1 ، ص126 ، اللمحة ، 64 .
4) إبن الخطيب ، الاحاطة ، ج1 ، ص47 ؛ الطوخي ، مظاهر الحضارة في ألأندلس ، ص78 .
5) **إبن** الخطيب ، نفاضة الجراب ، ج3 ، ص277 .

بن خطاب (ت سنة 636هـ في 1238م)(*) ، وهو حاسر الرأس إذْ يقول : «ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية حضرة السلطان في ذلك الأوان واليه الاشارة ، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة ، وهو حاسر الراس ، وشيبه قد غلب على سواد شعرة»[1] .

وكان قاضي مدينة قنتورية Contoria(**) ، إبن أبي خالد ، يضع العمامة على رأسه ، وذلك عند زيارة السلطان يوسف الأول إلى تلك المدينة [2] ، ومن الذين لبسوها أيضاً ، إبن الخطيب ، فقد انشده الكرسوطي الفاسي ( توفي بعد سنة 760هـ/ 1358م)(***) وهو بمالقه يحاول لف عمامته ، حين قال :-

أمعَّمـا قمـراً تكامـل حسنه | أربي على الشمس المنيرة في البها
لا تلتمـس ممـن لديـك زيادة | فالبدر لايمتار من نور السـهـا[3]

وكان أهل غرناطة يجعلون للعمامة ذؤابة يسدولونها من تحت الإذْن اليسرى ، أمَّا العلماء منهم فيرخونها ويصرفونها بين الاكتاف [4] ، والأقلية منهم من يغطيها

1) المقري ، نفح الطيب ، ج3 ، ص222 ؛ فرحات ، غرناطة في ظلِّ بني ألأحمر ، ص109 .
2) إبن الخطيب ، خطرة الطيف ، ص41 .
*) عزيز بن خطاب :- هو عزيز بن عبد الملك بن خطاب القيسي ، سرقسطي الاصل ، كان زاهداً عابداً ناشراً للعلم ، حتى امتحن برياسة بلدته مرسية فلم تحمد سيرته ، قتل سنة 636هـفي= = 1238م . ينظر ترجمته ، المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشيي ،( 634 - 703 هـ / 1237 - 1303م) ، كتاب الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة ، تحقيق ، احسان عباس ، دار الثقافة ، (لبنان ،1965م) ، ج5 ، ص144 .
* *) مدينة بالاندلس ، تقع في جنوب برشانة وعلى نهر المنصورة ايضا . ينظر ترجمتها ، إبن الخطيب ، خطرة الطيف ، ص41 .
* * *) الكرسوطي :- هو محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي ، يكنى بأبي عبد الله نزيل مالقه وساكنها ، وهو فقيه ومحدث ومتكلم وعروضي ، ولد بفاس وقدم إلى ألأندلس سنة 722هـ/ 1322م ، ثم اقام بمالقة وأيضاً غرناطة ، له عدة مؤلفات منها " الدرر في اختصار الطرر والقرر في تكميل الضرر .توفي بعد سنة760 هـ في1358م ينظر ترجمته ، إبن الخطيب الاحاطة ج6 ، ص97 .
3) المقري ، نفح الطيب ، ج6 ، ص96 .
4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص222 .

بكوفية من الكتان أو شاشية من اللباد[1] ، والغالب على لون العمائم في سلطنة غرناطة هو اللون الابيض ، ففي ترجمة إبن عبد البر الغساني[*] يذكر إبن الخطيب أنَّه تعممّ بعمامة بيضاء[2] ، وفي نص اخر يذكر عن اهل مدينة غرناطة»

«وكانت عمايمهم البيض أزهار مروجها»[3] ، ويدل أيضاً على ذلك الرسوم الموجودة في قصر الحمراء ، يظهر مجموعة من الأشخاص يرتدون مختلف أنواع العمائم ، ينظر الشكل (6) . ويتضح ذلك أيضاً من خلال صور لاعبي الشطرنج والموسيقيين في صور مدونة الفونسو العالم . ينظر الشكلين (2 ،1) .

والذين لم يلبسوا العمامة ، استعاظوا عنها بوضع القلنسوة والطيلسان[**] ، والقلنسوة شاع استعمالها في غرناطة كغطاء رسمي للرأس بالنسبة لبعض سلاطين غرناطة ، وهذا واضح في صورة أبي عبد الله الصغير ، ينظر الشكل (3) ، ولم يقتصر لبسها على السلاطين ، وإنَّما شاركهم بذلك عامة اهل ألأندلس ، وعادةً ما تكون حمراء اللون[4] ، واختلف الامر بالنسبة للبربر ، فكان رؤساؤهم مهتمون بلبس العمامة كثيراً[5] . إنَّ بعض المؤرخين عاب على ألأندلسيين ذلك ، وعده نقص بالمروءة ، قائلاً : « كشف الرأس بألأندلس هوان في حقّ ذوي المروءة»[6] .

وقد كان التأثير واضح على العرب في خلع العمامة من قِبل جيرانهم ألأسبان ، تلك العمامة التي طالما لبسها أسلافهم العرب في المشرق والأندلس والمغرب ، وقد المح صاحب طُرفة الظريف إلى هذا التأثير ، فهو يهجوا أحدَ

1) دوزي ، المعجم المفصل ، ص240 ؛ الطوخي ، مظاهر الحضارة في ألأندلس ، ص38 .
*) إبن عبد البر :– هو إبن عبد البر بن فارس بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن ، يكنى بأبي محمد ، من اهل وادي اشي ، ومن كبار ادباء عصره ، ينظر ترجمته ، إبن الخطيب ، الاحاطة ، ج3 ، ص575 .
2) إبن الخطيب ، الاحاطة ، ج3 ، ص575 .
3) إبن الخطيب ، ريحانة الكتاب ، ج1 ، ص97 .
4) إبن الأبَّار ، تحفة القادم ، ص67 ؛ الزجالي ،امثال العوام ،ج2 ، ص246 .
**) سيأتي شرحها بالتفصيل في هذا الفصل
5) إبن الأبَّار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص86 .
6) إبن الازرق ، أبو عبد الله بن الازرق ، (ت 896 هـ/ 1490م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، تحقيق ، علي سامي النشار ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، 1978م) ، ج2 ، ص160 .

اشخاصه المفترضين من اهل ألأندلس ، وإقترحَ أنْ ينسبه للخزرج ، بعد أنْ اعطاه اسم مدرج ، قائلاً :-

رأيتــك للـــروم ذا خلـــة وانت على نسجهم تنسج
تزيَّ بزي النصارى الكلاب فأنـــت بزيهـــم تنتهـــج
لقد بعت منهم نضار النضار بشــيء يقــال لـه البهــرج
تركـت الجـدود وما أثــلوا فلا الدين بـاق ولا الملهــج[1]

وهو على هذه الطريقة ينتقص من ألأندلسين بتأثرهم الكبير بألأسبان ، ومن الاشخاص الذين عابَ عليهم تأثرهم بألأسبان ، هو مهير الحميري ، الذي أخذ الشاعر بقصيدته يعدد أمجاد حمير في الإسلام وقبله ، فالشاعر يعدد مزايا تلك القبيلة ، ومن ضمنها لبسهم للعمائم ، التي يعدها من مفاخرهم ، وهو تعريض بشخصيته ألأندلسية المختلقة ، التي خلعت عمائم اجدادهم ، فيقول معرضاً :-

أن العمائم في الوغى تيجانهم وركوبهم فيها العتاق الضمرُ[2]

وبعد ذلك أشار إلى تخلي « مهير» عن عادات أبائه وتقاليدهم ، فيقول :-

لو كنت تفعل فعلـهم يامَهِــرُ ما كنت جهـلاً دونهـم تتنصرُ
بنوا الفخار وانت تهـدم مإبنوا وصفت مواردهم وانت تكدرُ[3]

وأمَّـا راشيل أريه فعند الكلام عن تأثير النصارى على المسلين في مجال الملابس في بداية تأسيس دولة بني ألأحمر ، واستشهادها بتأثير النصارى على ملابس مؤسس السلطنة ، فإنَّها قد عرَّجت على ذكر العمامة ، وتركها من قبل المسلمين[4] ، وفيها اشارة واضحة على أنَّ ترك لبس العمامة جاء بإيحاء نصراني على المسلمين .

وأيدها فرحات في هذا الرأي ، ذاكراً أنَّ تأثير ألأسبان على المسلمين شمل

1) مجهول ، طرفة الظريف ، ص28 .
2) المصدر نفسه ، ص31 .
3) المصدر نفسه ، ص32 .
4) تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص33 .

الكثير من حياة ألأندلسيين ، واشار إلى ترك لبس العمامة من قِبل المسلمين[1] .

وعدَّ عزيز العظمة بصورة واضحة لا تقبل الشك ، أنَّ خلع العمامة كان بتأثير نصراني ، وذلك بقوله :» لقد خلع النصريون ، الحاكم والمحكومون منهم (باستثناء الجنود والقضاة العرب) العمامة ، واتبعوا العادات القشتالية في اللباس «[2] ، وعدَّ غومث عدم لبس العمامة في ألأندلس ، ما هو إلا بتأثير قشتالي عليهم ، لاسيما في الأيام الأولى لتأسيس سلطنة غرناطة[3] .

واخيراً فإنَّ غالا ساند تلك الآراء جميعها ، وصرح بذلك التأثير ألأسباني على العرب في ترك لبس العمامة[4] .

**ب:- الحجاب.**

الحجابُ بالنسبةِ لنساء المسلمين ، فريضةٌ دينيةٌ ، فهو امرٌ طبيعيٌ بالنسبة لها . ونظراً لأهميته فقد تفنَّن ألأندلسيون بعمل هذا الحجاب ، وظهرت أنواع كثيرة منه ، تختلف من شكل الى آخر ، واختلفت بالنسبة للحجم والأماكن التي يغطيها الحجاب من الوجه من حجاب إلى اخر . واختلفت أنواع الاقمشة التي استعملت في صناعته ، فقد عرفت غرناطة البُرقع أو اللِثام ، والخِمار ، والنِقاب ، القفاع ، وغيره[5] ، ينظر الشكل (4) وجميعها تدل بالنتيجة على تغطية الرأس والوجه مهما اختلفت التسميات .

وعادةً ما كانت تُصنع تلك الحجابات من القماش الناصع البياض والمصنوع من الحرير أو الكتان الخفيف والقطن ، وهذا الأمر كان معروفاً في سلطنة غرناطة ، ويعرف هذا النوع من الحِجاب الخاص بالوجهه بـ(الكنبوش)[*] ويشمل البرقع

1) غرناطة في ظل بني ألأحمر ، ص 108–109 .
2) اعداء الداء ، جيران اخفياء الشماليون في عيون ألأندلسيين ، بحث منشور ضمن كتاب الحضارة العربية ألإسلامية في ألأندلس ، تحرير : سلمى الجيوسي ، ج1 ، ص394 .
3) مع شعراء ألأندلس والمتنبي ، ص 163 – 164 .
4) غرناطة بني نصر ، ص171 .
5 ( Sebastian، Moorish fashion in Thirteenth Century Spain. P. 5.
*) الكنبوش :– ما تجعله المرأة على رأسها تحت مقنعها من حرير كان أو غيره . ينظر ، الزجالي ، امثال العوام ، ج2 ، ص454 .

أو الخمار أو النقاب ، وعرفت باللاتينية Cappucium[1] ، وقد استخدام الخمار المصنوع من الأقمشة الحريرية ذات الجودة والشفافية ، واستعملت نوعاً من الاقمشة يطلق عليها (المعاجز) ، وهي أشبه بما يُسمى اليوم ( بالشيفون) ، تغشي بها المرأة وجهها أو تشد به راسها[2] ، ولبس الرجال في ألأندلس القناع أيضاً – ولكن في ظروف معينة وعلى نطاق ضيق– فذكر إبن فركون أنَّ السلطان يوسف الثالث كان يرتدي قناعاً منسوجاً من الذهب الخالص ، وذلك بقوله :

أحسـنْ بـه قنــــاع راق العيــون جمـالاً
من خالـص التبر جلَّـت صـفاتــه أنْ تنــالا
شمس الاصيل حكتــه لـونـاً وحســناً وحالا[3]

ولـم تذكر المصادر لماذا لبسه السلطان ، لعله لأمرٍ خاص به .

ولبُس اللثام لتغطية النصف السفلي من الوجه من قِبل النساء والرجال ، وبأوقات مختلفة عبر التاريخ[4] ، ولم تكن عادة إرتداء الحجاب – فيما يخص الوجه–منطبقة على كل نساء غرناطة ، فقد أسفرت المرأة عن وجهها أكثر من مرة ، حتى أنَّ الفقهاء اشاروا إلى ذلك وتصدوا لهذه الظاهرة الغريبة على المجتمع المسلم ، وأشار إبن الخطيب – كما ذكرنا من قبل– إلى استقبال السلطان يوسف الأول من قبل اهل وادي اشـي ، سنة( 748هـ/ 1347م) ، قائلا :" واختلطن بالرجال حاسرات الخمار عن الوجوه"[5] . أمَّا نساء مدينة رندة ، فيقول عنهن :" ويسفرن عن الخد المعشوق وينعش قلب المشوق بالطيب المنشوق"[6] ، والغرض من تكرار النصوص هو أنْ نؤكد أنَّ السفور المقصود به هو كشف الوجه وليس الرأس كله . وهو واضح من خلال النصوص .

---

1) المصدر نفسه ، ج2 ، ص454 .
2) الاهواني ، عبد العزيز ، الفاظ مغربية من كتاب إبن هشام اللخمي في لحن العامة ، ص309 .
3) أبو الحسن احمد بن فركون ، من رجال القرن9 هـ/ 15م ،ديوان إبن فركون ،تحقيق محمد أبن شريفة ، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية ،(المملكة المغربية ، بلا . ت) ، ص55 .
4 ) Sebastian,Moorish Fashion in Thirteenth Centary Spain, P.4
5) خطرة الطيف ، ص50 .
6) المصدر نفسه ، ص96 .

وهذا يدل على استعمالها الشائع عندهم ، وسُميت باللغة ألأسبانية Marlota[1] . وظهرت في سجلات الأرشيف في خزائن ملابس الأمير دون خوان ، إبن الملوك الكاثوليك ، عام (892هـ/ 1486م) ، كذلك في خزانة الملابس لأحد رجال الملوك القشتاليين ، مؤرخة في (عام 860هـ/ 1456م)[2] . لبسها العرب ، بتأثير أسباني بحسب أريه ، التي ذكرت هذا التأثير وعَزَته إلى الظروف التاريخية[3] .وأيضاً ساند هذا الرأي الطوخي ، بقوله :- "وظهر التأثير المسيحي في أردية الرجال والنساء في غرناطة على المسلمين فلبس المسلمين الملوطة Marlota التي يكثر ذكرها في الوثائق الغرناطية والمدونات ألأسبانية"[4] . وكان سعرها يبلغ بالنسبة للعامة (15) دينار[5] . وواضح من النص المتوافر عندنا من الطوخي ، انها من البسة ألأسبان لبسها العرب تأثراً بألأسبان .

## هـ - الشاية Sayo

هي عبارة عن عباءة واسعة لا أزرار فيها ، يرتديها القرويون ألأسبان[6] ، عند المزارعين منهم بصورة خاصة[7] ، ويُعبر عنه احياناً بثوب ، ويكون قصير مع ردن مناسبة لليد[8] ، أو تكون طويلة ، بحيث تصل إلى الزنار[9] . وفي بعضها تكون الأكمام قصيرة واسعة[10] ، وعلى الرغم من اصلها المتواضع ، إلا أنّها كانت تلبس من جميع الطبقات[11] ، وتلبس فوق القميص ،[12] "وقد إستعار عرب ألأندلس

1) المرجع نفسه ، ص 333–334 .
2) آريه ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص41 .
3) المرجع نفسه، ص42.
4) الطوخي ، مظاهر الحضارة في ألأندلسن ، ص77 .
5) لوثينا ، لويس سيكودي ، وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ، معهد الدراسات ألإسلامية ،(مدريد ،1961 م) ، ص 143
6) دوزي ، المعجم المفصل ، ص178 .
7) Sebastin, Moorish Fashion in Thirteenth century Spain,P,4
8) Ibid, P,4
9) الطوخي ، مظاهر الحضارة في ألأندلس ، ص77 .
10) آريه ، المنمنمات في أسبانيا ألإسلامية ، ص45 .
11) Sebastin, Moorish Fashion in Thirteenth century Spain,P,4
12) أبو الفضل ، شرق ألأندلس ، ص238 ؛ آريه ، تاريخ أسبانيا ألإسلامية ، ص31 .